تفسير

جزئي تبارك وعم

وسورة الفاتحة

وآية الكرسي

من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان

الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله تعالى

١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ

تفسير

جُزْأَيْ تَبَارَكَ وَعَمَّ

وسورة الفاتحة

وآية الكرسي

شَرُفَتْ بِطِبَاعَتِهِ

الدَّارُ العَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

ش الأزهر - أمام جامعة الأزهر - الدراسة

ص ب/ ١١٣٦١

الإدارة/ ٢٦٩٩٠٥٧٠ (٠٠٢٠٢)

فرع (١)/ ٢٥٨٨١٩١٧ (٠٠٢٠٢)

فرع (٢)/ ٢٥١٠٠٦٦٧ (٠٠٢٠٢)

جوال: ٠١٢٢٢١٦٥٣٣٣٩ (٠٠٢)

Email: abdallaelnady@gmail.com

تفسير

جزئي تبارك وعمّ

وسورة الفاتحة

وآية الكرسي

من

تيسير الكريم الرحمن

في

تفسير كلام المنان

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله تعالى

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[ص: ٢٩]

عَنْ عُثْمانَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِـهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

رواه البخاري (٥٠٢٧)

"

يَـا نَـاظِرًا فِيـهِ سَـلِ اللهَ مَرْحَمَـةً

عَلَى الْمُصَـنِّفِ وَاسْـتَغْفِرْ لِكَاتِبِـهِ

وَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مِنْ خَيْرٍ تُرِيدُ لَهَا

وَبَعْـدَ ذَلِـكَ غُفْرَانًـا لِصَـاحِبِهِ

"

تفسير سورة الفاتحة

وهي مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

[١] ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالىٰ؛ لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنىٰ.

﴿ٱللَّهِ﴾: هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي: صفات الكمال.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمان دالان علىٰ أنه تعالىٰ ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله؛ فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فله نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلًا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء.

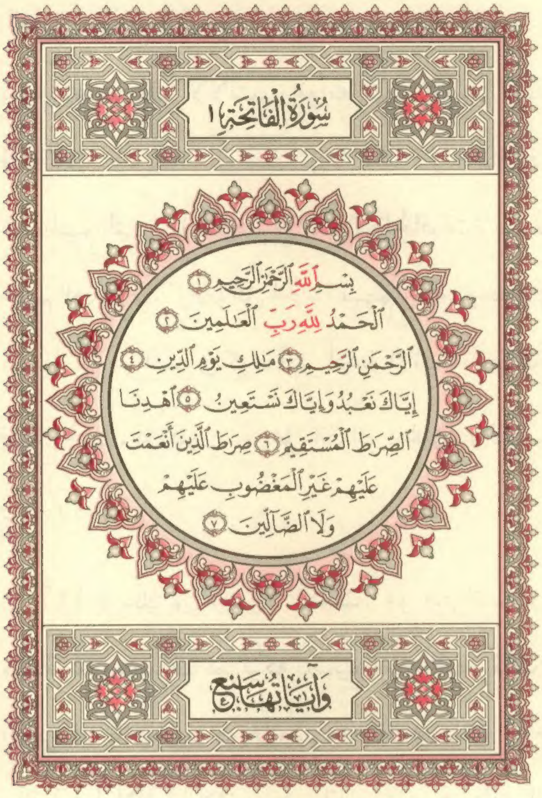
يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير: ذو قدرة، يقدر علىٰ كل شيء.

[٢] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هو: الثناء علىٰ الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه. ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الرب: هو المربي جميع العالمين - وهم مَنْ سوىٰ الله - بخلقه لهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالىٰ.

وتربيته تعالىٰ لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنىٰ هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. فدل



قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ علىٰ انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

[٤] ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك، التي من آثارها أنه يأمر وينهىٰ، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات.

وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتىٰ إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين وغيره من الأيام.

[٥] وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وتقديم العبادة علىٰ الاستعانة من باب تقديم العام علىٰ الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالىٰ علىٰ حق عبده.

الكامل بجميع الوجوه. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرب: هو المربي جميع العالمين - وهم مَنْ سوى الله - بخلقه لهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. **فالعامة:** هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا. **والخاصة:** تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. فدل قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار.

[٤] ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك، التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات. وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين وغيره من الأيام.

[٥] وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك. وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده. **والعبادة:** اسم جامع لِما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة. **والاستعانة** هي: الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله ﷺ مقصودًا بها وجه الله، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى، فإنه إن لم يعنه الله؛ لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي. ثم قال تعالى:

[٦] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان. والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد؛ ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك؛ وهذا الصراط المستقيم هو:

[٧] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ﴿غَيْرِ﴾ صراط ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، وغير صراط ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم. فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿ٱللَّهِ﴾ ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وأن الجزاء يكون بالعدل؛ لأن الدين معناه الجزاء بالعدل. وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافًا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك. وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فالحمد لله رب العالمين.

تفسير آية الكرسي

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾.

[٢٥٥] أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن(١)؛ لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة وسعة الصفات للباري تعالى، فأخبر أنه ﴿اللَّهُ﴾؛ الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره وعبادة غيره باطلة، وأنه ﴿الْحَيُّ﴾ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الذاتية، كما أن ﴿الْقَيُّومُ﴾؛ تدخل فيه جميع صفات الأفعال؛ لأنه القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات فأوجدها وأبقاها وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها. ومن كمال حياته وقيوميته أنه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾؛ أي: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ لأن السنة والنوم إنما يعرضان للمخلوق الذي يعتريه الضعف

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

والعجز والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال، وأخبر أنه مالك جميع ما في السموات والأرض، فكلهم عبيد لله مماليك لا يخرج أحد منهم عن هذا الطور ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾؛ فهو المالك لجميع الممالك وهو الذي له صفات الملك والتصرف والسلطان والكبرياء، ومن تمام ملكه أنه لا ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾؛ أحد ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؛ فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له مماليك لا يُقْدِمُون على شفاعة حتى يأذن لهم ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ والله لا يأذن لأحد أن يشفع إلا فيمن ارتضى ولا يرتضي إلا توحيده واتباع رسله، فمن لم يتصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب، ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط وأنه يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلة التي لا نهاية لها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ من الأمور الماضية التي لا حد لها، وأنه لا تخفى عليه خافية ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾؛ وأن الخلق لا يحيط أحد بشيء من علم الله ومعلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ منها وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جدًّا مضمحل في علوم الباري ومعلوماته كما قال أعلم الخلق به وهم الرسل والملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾؛ ثم أخبر عن عظمته وجلاله وأن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه قد حفظهما ومن فيهما من العوالم بالأسباب والنظامات التي جعلها الله في المخلوقات، ومع ذلك فلا يؤوده؛ أي: يثقله حفظهما لكمال عظمته واقتداره وسعة حكمته في أحكامه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾؛ بذاته على جميع مخلوقاته، وهو العلي بعظمة صفاته، وهو العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصعاب، وذلت له الرقاب ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾؛ الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلت عن الصفة فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم. فآية احتوت على هذه المعاني التي هي أجلُّ المعاني بحق أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحق لمن قرأها متدبرًا متفهمًا أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون محفوظًا بذلك من شرور الشيطان.

تفسير سورة الملك

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾.

[١] ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: تعاظم وتعالىٰ، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته كمال قدرته التي يقدر بها علىٰ كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسموات والأرض.

[٢] و﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾؛ أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: أخلصه وأصوبه، وذلك أن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانقادت له المخلوقات.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصًا إذا تابوا وأنابوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، ويستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا.

[٣] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي: كل واحدة فوق الأخرىٰ، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾؛ أي: خلل ونقص، وإذا

الجزء التاسع والعشرون — سورة الملك

سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٢
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٨
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢

٥٦٢

انتفىٰ النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس [والقمر] والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات.

ولما كان كمالها معلومًا، أمر تعالىٰ بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾؛ أي: أعده إليها، ناظرًا مُعتبرًا، ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾؟ أي: نقص واختلال.

[٤] ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: [و] المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي: عاجزًا عن أن يرىٰ خللًا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص.

ثم صرح بذكر حُسنها، فقال:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾.

[٥] أي: ولقد جمّلنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: التي ترونها وتليكم ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: وهي النجوم، علىٰ اختلافها في النور والضياء،

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال، ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، وجمالًا ونورًا وهداية يهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السموات السبع، فإن السموات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: المصابيح ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾: الذين يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمىٰ من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: لأنهم تمردوا علىٰ الله، وأضلوا عباده.

[٦] ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير، فلهذا قال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: التي يُهان بها أهلها غاية الهوان.

[٧] ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: علىٰ وجه الإهانة والذل ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتًا عاليًا فظيعًا.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾؛ أي: تكاد علىٰ اجتماعها أن يفارق بعضها بعضًا، وتتقطع من شدة غيظها علىٰ الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟! ثم ذكر توبيخ الخزنة لأهلها فقال: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؛ أي: حالكم هذه واستحقاقكم النار، كأنكم لم تخبروا عنها، ولم تحذركم النذر منها.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله، ولم يكفهم ذلك، حتىٰ أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم ضلالًا كبيرًا، فأي عناد وتكبر وظلم يشبه هذا؟!

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾: معترفين بعدم أهليتهم للهدىٰ والرشاد: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: فنفوا عن أنفسهم طرق الهدىٰ، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه علىٰ حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان؛ فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمًا ومعرفة وعملًا.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدىٰ من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن علىٰ مَن يشاء مِن عباده، ويخذل من لا يصلح للخير.

[١١] قال تعالىٰ عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ أي: بُعدًا لهم وخسارة وشقاء؛ فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير التي تستعر في أبدانهم، وتطلع علىٰ أفئدتهم!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر وصف الأبرار السعداء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: في جميع أحوالهم، حتىٰ في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون علىٰ معاصيه، ولا يقصرون عما أمرهم به ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم. ولهم ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وهو ما أعده لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات المتواصلات، والقصور والمنازل العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان.

وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله علىٰ ساكني الجنان.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

[١٣] هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه فقال:

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾؛ أي: كلها سواء لديه، لا يخفىٰ عليه منها خافية، فـ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترىٰ؟!

[١٤] ثم قال مستدلًّا بدليل عقلي علىٰ علمه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؛ فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾: الذي لطف علمه وخبره، حتىٰ أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا والغيوب، وهو الذي ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

ومن معاني اللطيف أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلىٰ أعلىٰ المراتب، بأسباب لا تكون من العبد علىٰ بال، حتىٰ إنه يذيقه المكاره، ليوصله بها إلىٰ المحاب الجليلة، والمطالب النبيلة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذللها، لتُدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلىٰ الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾؛ أي: لطلب الرزق والمكاسب. ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحانًا، وبلغة يتبلغ بها إلىٰ الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلىٰ الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٦] هذا تهديد ووعيد لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: وهو الله تعالىٰ، العالي علىٰ خلقه. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: بكم وتضطرب حتىٰ تهلكوا وتتلفوا.

[١٧-١٨] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؛ أي: عذابًا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب؛ فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الأمد أو قصر، فإن من قبلكم كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تعالىٰ: فانظروا كيف إنكار الله عليهم؛ عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة؛ فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] وهذا عتاب وحث علىٰ النظر إلىٰ حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: فإنه الذي سخر لهن الجو، وجعل أجسادها وخلقتها في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته علىٰ قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾: فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾.

[٢٠] يقول تعالىٰ للعُتاة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: ينصركم إذا أراد الرحمن بكم سوءًا، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم علىٰ أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تعالىٰ هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق لو اجتمعوا علىٰ نصر عبد، لم ينفعوه بمثقال ذرة علىٰ أي عدو كان، فاستمرار الكافرين علىٰ كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن غرور وسفه.

[٢١] ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: الرزق كله من الله؛ فلو أمسك عنكم الرزق، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون علىٰ رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟! فالرازق المُنعم الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون ﴿لَّجُّوا۟﴾؛ أي: استمروا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾؛ أي: قسوة وعدم لين للحق ﴿وَنُفُورٍ﴾؛ أي: شرود عن الحق.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] أي: أيُّ الرجلين أهدىٰ؛ من كان تائهًا في الضلال، غارقًا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلًا، والباطل حقًّا؟ ومن كان عالمًا بالحق، مؤثرًا له، عاملًا به، يمشي علىٰ الصراط المستقيم في أقواله وأعماله وجميع أحواله؟! فبمجرد النظر إلىٰ حال الرجلين، يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

٥٦٤

[٢٣] يقول تعالىٰ مبينًا أنه المعبود وحده، وداعيًا عباده إلىٰ شكره، وإفراده بالعبادة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾؛ أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، وهذه الثلاثة هي أفضل أعضاء البدن وأكمل القوىٰ الجسمانية، ولكنكم مع هذا الإنعام ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بثكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم ونهاكم، وأسدىٰ عليكم من النعم ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة، ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾: تكذيبًا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ جعلوا علامة صدقهم أن يخبروهم بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد.

[٢٦] فإنما ﴿ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلته، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين علىٰ صحته ما لا يبقىٰ معه أدنىٰ شك لمن ألقىٰ السمع وهو شهيد.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

[٢٧] يعني: أن محل تكذيب الكفار وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم ﴿زُلْفَةً﴾؛ أي: قريبًا، ساءهم ذلك وأفظعهم، وأقلقهم، فتغيرت لذلك وجوههم، ووبخوا علىٰ تكذيبهم، وقيل لهم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: فاليوم رأيتموه عيانًا، وانجلىٰ لكم الأمر، وتقطعت بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب.

[٢٨] ولما كان المكذبون للرسول ﷺ الذين يردون دعوته، ينتظرون هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: إنكم وإن حصلت لكم أمنيتكم و﴿أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾: فليس ذلك بنافع لكم شيئًا؛ لأنكم كفرتم بآيات الله، واستحققتم العذاب، ﴿فَمَن﴾ يجيركم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذًا تعبكم وحرصكم علىٰ هلاكي غير مفيد، ولا مُجدٍ لكم شيئًا.

[٢٩] ومن قولهم: إنهم علىٰ هدىٰ والرسول علىٰ ضلال؛ أعادوا في ذلك وأبدوا، وجادلوا عليه وقاتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال وجودها وكمالها متوقفة علىٰ التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم ولا توكل، علم بذلك من هو علىٰ هدىٰ، ومن هو في ضلال مبين.

[٣٠] ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصًا الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾؛ أي: غائرًا ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾: تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنىٰ النفي؛ أي: لا يقدر أحد علىٰ ذلك غير الله تعالىٰ.

تم تفسير سورة المُلك والحمد لله.

تفسير سورة ن

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ① مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ② وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ③ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ⑤ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ⑥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ⑦﴾.

[١-٢] يُقسم تعالىٰ بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام التي تُكتب بها أنواع العلوم، ويُسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطر به من أنواع الكلام، من آياته العظيمة، التي تستحق أن يقسم [الله] بها علىٰ براءة نبيه محمد ﷺ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون فنفىٰ عنه ذلك بنعمة ربه عليه وإحسانه؛ حيث منَّ عليه بالعقل الكامل، والرأي الجَزْل، والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا.

[٣] ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: لأجرًا عظيمًا، كما يفيده التنكير، غير مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي ﷺ من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة والهداية إلىٰ كل خير.

[٤] ولهذا قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: عاليًا به، مُستعليًا بخُلُقك الذي منَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: «كان خلقه القرآن»(١)، وذلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ...﴾ الآية، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ...﴾ وما أشبه ذلك من الآيات الدالات علىٰ اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات علىٰ كل خُلُقٍ جميل فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان [ﷺ] سهلًا لينًا قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم علىٰ أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يُحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ.

[٥-٦] فلما أنزله الله في أعلىٰ المنازل [من جميع الوجوه]، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ⑤ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: وقد تبين أنه أهدىٰ الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوهم عن سبيله، وكفىٰ بعلم الله بذلك، فإنه [هو] المحاسب المجازي.

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ⑧ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ⑨ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ⑩ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ⑪ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ⑬ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ⑭ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ⑮ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ⑯﴾.

[٨] يقول الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلًا لأن يطاعوا؛ لأنهم لا يأمرون إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مُقدِم علىٰ ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم ويسكتوا عنه.

[٩] ولهذا قال: ﴿وَدُّوا۟﴾؛ أي: المشركون ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾؛ أي: توافقهم علىٰ بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾، ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره نقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه.

[١٠] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾؛ أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب، ولا يكون كذابًا إلا وهو ﴿مَّهِينٍ﴾؛ أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له رغبة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة.

[١١] ﴿هَمَّازٍ﴾؛ أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، وغير ذلك.

﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾؛ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإيقاع العداوة والبغضاء.

[١٢] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك، ﴿مُعْتَدٍ﴾: علىٰ الخلق يظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله [تعالىٰ].

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

٥٦٥

[١٣] ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: غليظ شرس الخلق، قاسٍ غير مُنقاد للحق، ﴿زَنِيمٍ﴾؛ أي: دَعي، ليس له أصل ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يُرجىٰ منه فلاح، له زنمة؛ أي: علامة في الشر، يُعرف بها.

[١٤] وحاصل هذا: أن الله تعالىٰ نهىٰ عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، خصوصًا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، بالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي.

[١٥] وهذه الآيات - وإن كانت نزلت في بعض المشركين - كالوليد بن المغيرة أو غيره؛ لقوله عنه: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغىٰ واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه وجعله من جملة أساطير الأولين التي يمكن صدقها وكذبها؛ فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو [في] شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة.

[١٦] ثم توعد تعالىٰ من جرىٰ منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: في العذاب، ليعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[١٧-١٨] يقول تعالىٰ: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجًا لهم من حيث لا يعلمون، فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء، حين أينعت أشجارها وزهت ثمارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها؛ أي: يجذّونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها ويبادرهم إليها.

[١٩-٢٠] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: عذاب نزل عليها ليلًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: فأبادها وأتلفها ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي: كالليل المظلم، وذهبت الأشجار والثمار.

[٢١-٢٢] هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذا تنادوا فيما بينهم لما أصبحوا، يقول بعضهم لبعض: ﴿ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾.

[٢٣-٢٤] ﴿فَٱنطَلَقُوا۟﴾: قاصدين لها، ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: فيما بينهم بمنع حقِ الله تعالىٰ، ويقولون: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾؛ أي: بكِّروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفًا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء.

[٢٥] ﴿وَغَدَوْا۟﴾: في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة وعدم الرحمة ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾؛ أي: علىٰ إمساك ومنعٍ لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

[٢٦-٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: علىٰ الوصف الذي ذكر الله كالصريم ﴿قَالُوٓا۟﴾: من الحيرة والانزعاج. ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: تائهون عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم؛ قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة.

[٢٨] فـ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾؛ أي: أعدلهم وأحسنهم طريقة ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾؛ أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم، وقلتم: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته، لَمَا جرىٰ عليكم ما جرىٰ.

[٢٩] فـ﴿ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾؛ أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعدما وقع العذاب علىٰ جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم علىٰ أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة.

[٣٠-٣٢] ولهذا ندموا ندامة عظيمة، وأقبل ﴿ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾: فيما أجروه وفعلوه، ﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾؛ أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده.

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾: فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرًا منها، ووعدوا أن سيرغبون إلىٰ الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا؛ فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرًا منها لأن من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه؛ أعطاه سؤاله.

[٣٣] قال تعالىٰ مُعظمًا ما وقع: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾؛ أي: الدنيوي لمن أتىٰ بأسباب العذاب أن يسلبه الله الشيء الذي طغىٰ به وبغىٰ، وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون إليه، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾؛ من عذاب الدنيا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾: فإن من علم ذلك؛ أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العقاب، ويحرم الثواب.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٣٤-٤١] يخبر تعالىٰ بما أعده للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمته تعالىٰ لا تقتضي أن يجعل المتقين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين مراضيه، كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه [حكم] باطل، ورأيه فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وليس لهم عند الله عهد ويمين بالغة إلىٰ يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان علىٰ إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم


الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ
لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٥٦٦

أن دعواهم باطلة فاسدة، وقوله: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾؛ أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوىٰ التي تبين بطلانها، فإنه لا يمكن أحدًا أن يتصدَّر بها ولا يكون زعيمًا فيها.

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٢-٤٣] أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتىٰ الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأىٰ الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾: لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون علىٰ السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر؛ لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم؛ فإنهم كانوا يُدعون في الدنيا إلىٰ السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون لا علة فيهم؛ فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة والاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام علىٰ المعاصي،

ويوجب التدارك مدة الإمكان.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢)﴾.

[٤٤-٤٥] أي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم؛ فإن عليَّ جزاءهم، ولا تستعجل لهم، فـ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فنمدهم بالأموال والأولاد، ونمدهم في الأرزاق والأعمال، ليغتروا ويستمروا علىٰ ما يضرهم وهذا من كيد الله لهم، وكيد الله لأعدائه متين قوي، يبلغ من ضررهم وعقوبتهم كل مبلغ.

[٤٦] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾؛ أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم تصديقهم لك سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلِّمهم، وتدعوهم إلىٰ الله لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرمًا يثقل عليهم.

[٤٧] ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا [فيها] أنهم علىٰ حق، وأن لهم الثواب عند الله؛ فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم.

[٤٨-٥٠] فلم يبق إلا الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار علىٰ دعوتهم، ولهذا قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لما حكم به شرعًا وقدرًا، فالحكم القدري، يصبر علىٰ المؤذي منه، ولا يُتَلقَّىٰ بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يقابل بالقبول والتسليم، والانقياد [التامّ] لأمره.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: وهو يونس بن متىٰ - عليه الصلاة والسلام -؛ أي: ولا تشابهه في الحال التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، وهو عدم صبره علىٰ قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضبًا لربه، حتىٰ ركب [في] البحر، فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يُلْقُون لكي تَخِفَّ بهم، فوقعت القرعة عليه ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾؛ أي: وهو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادىٰ وهو مغتم مهتم، فقال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، ولهذا قال هنا: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾؛ أي: لطرح في العراء، وهي الأرض الخالية ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: ولكن الله تغمده برحمته فنبذ وهو ممدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولىٰ، ولهذا قال: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾؛ أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر.

﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؛ أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم.

[٥١-٥٢] فامتثل نبينا محمد ﷺ أمر الله، فصبر لحكم ربه صبرًا لا يُدركه [فيه] أحد من العالمين، فجعل الله له العاقبة ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ولم يبلغ أعداؤه فيه إلا ما يسوؤهم، حتىٰ إنهم حرصوا علىٰ أن يزلقوه بأبصارهم؛ أي: يصيبوه بأعينهم من حسدهم وحنقهم وغيظهم، هذا مُنتهىٰ ما قدروا عليه من الأذىٰ الفعلي، والله حافظه وناصره، وأما الأذىٰ القولي، فيقولون فيه أقوالًا، بحسب ما توحي إليهم قلوبهم، فيقولون: تارة «مجنون»! وتارة: «شاعر»! وتارة «ساحر»!

قال تعالىٰ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: وما هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم. والحمد لله.

تفسير سورة الحاقة

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨)﴾.

[١-٣] ﴿الْحَاقَّةُ﴾: من أسماء يوم القيامة، لأنها تَحُقُّ وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبآت الصدور، فعظَّم تعالىٰ شأنها وفخمه، بما كرره من قوله: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾؛ فإن لها شأنًا عظيمًا وهولًا جسيمًا، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل.

[٤] ثم ذكر نموذجًا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: وهم القبيلة المشهورة سكان الحجر الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحًا عليه السلام؛ ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه وكذبوا ما أخبر به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولىٰ سكان حضرموت حين بعث الله إليهم رسوله هودًا - عليه الصلاة والسلام - يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، فكذبوه وأنكروا ما أخبر به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك العاجل.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾: وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي قطعت قلوبهم وزهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتىٰ لا يُرىٰ إلا مساكنهم وجثثهم.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾؛ أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف ﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي: عتت علىٰ خزانها، علىٰ قول كثير من المفسرين، أو عتت علىٰ عاد وزادت علىٰ الحد كما هو الصحيح.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾؛ أي: نحسًا وشرًّا فظيعًا عليهم فدمرتهم وأهلكتهم، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾؛ أي: هلكىٰ موتىٰ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رءوسها الخاوية الساقط بعضها علىٰ بعض.

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾؟: وهذا استفهام بمعنىٰ النفي المتقرر.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾.

[٩-١٢] أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة، كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسىٰ بن عمران - عليه الصلاة والسلام - وأراهم من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق، ولكن جحدوا وكفروا ظلمًا وعلوًّا وجاء مَن قبله مِن المكذبين، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾؛ أي: قرىٰ قوم لوط؛ الجميع جاءوا ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾؛ أي: بالفعلة الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاندة وما انضم إلىٰ ذلك من أنواع المعاصي والفسوق.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: وهذا اسم جنس؛ أي: كلٌّ من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم، فأخذ الله الجميع ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾؛ أي: زائدة علىٰ الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم.

[١١-١٢] ومن جملة هؤلاء قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغىٰ الماء علىٰ وجه الأرض وعلا علىٰ مواضعها الرفيعة، وامتن الله علىٰ الخلق الموجودين بعدهم أن حملهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾، وهي السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم الذين نجاهم الله.

فاحمدوا الله واشكروا الذي نجاكم حين أهلك الطاغين واعتبروا بآياته الدالة علىٰ توحيده ولهذا قال: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: الجارية، والمراد جنسها [لَكُمْ] ﴿تَذْكِرَةً﴾: تذكركم أول سفينة صنعت وما قصتها وكيف نجىٰ الله عليها مَن آمن به، واتبع رسوله وأهلك أهل الأرض كلَّهم؛ فإن جنس الشيء مذكر بأصله.

الجزء التاسع والعشرون — سورة الحاقة

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ
۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤

٥٦٧

وقوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾؛ أي: يعقلها أولو الألباب ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها، وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة، فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وتفكرهم بآياته.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾.

[١٣-١٨] لما ذكر تعالىٰ ما فعله بالمكذبين لرسله، وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن الله نجىٰ الرسل وأتباعهم؛ كان هذا مقدمة للجزاء الأخروي، وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة.

فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام يوم القيامة، وأن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل ﴿فِي الصُّورِ﴾ إذا تكاملت الأجساد نابتة ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فتخرج الأرواح، فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: فتتت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت عليها، فكان الجميع قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا، هذا ما يصنع بالأرض وما عليها.

الجزء التاسع والعشرون — سورة الحاقة

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

مكية — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٥٦٨

وأما ما يصنع بالسماء، فإنها تضطرب وتمور وتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها، وكرب جسيم هائل أوهاها وأضعفها.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾؛ أي: الملائكة الكرام ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾؛ أي: على جوانب السماء وأركانها، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: أملاك في غاية القوة، إذا أتىٰ للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله. ولهذا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: علىٰ الله ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: لا من أجسادكم وذواتكم، ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، ويحشر العباد حفاة عراة غرلًا، في أرض مستوية، يُسمِعهم الداعي، ويَنفُذُهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

[١٩-٢٠] وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزًا لهم وتنويهًا بشأنهم ورفعًا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك مِنَ الفرح والسرور ومحبة أن يَطَّلِع الخلق علىٰ ما مَنَّ الله عليه به من الكرامة: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ أي: دونكم كتابي فاقرؤوه؛ فإنه يُبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، والذي أوصلني إلىٰ هذه الحال ما منَّ الله به عليَّ من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: أيقنت؛ فالظن هنا بمعنىٰ اليقين.

[٢١-٢٤] ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها. ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: المنازل والقصور عالية المحل. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول علىٰ أهلها، ينالها أهلها قيامًا وقعودًا ومتكئين. ويقال لهم إكرامًا: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾؛ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾؛ أي: تامًّا كاملًا من غير مكدر ولا منغص. وذلك الجزاء حصل لكم ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾: من الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلىٰ الخلق، وذكر لله وإنابة إليه، فالأعمال جعلها الله سببًا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلًا لسعادتها.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٢٥-٢٩] هؤلاء هم أهل الشقاء يُعطَون كتبهم المشتملة علىٰ أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزًا لهم وخزيًا وعارًا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والحزن: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ لأنه يُبشر بدخول النار والخسارة الأبدية. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: ليتني كنت نسيًا منسيًّا ولم أبعث وأحاسب؛ ولهذا قال: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾؛ أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

ثم التفت إلىٰ ماله وسلطانه؛ فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولا ينفعه لو افتدىٰ به من العذاب شيئًا، فيقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾؛ أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئًا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه. ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾؛ أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود ولا الكثرة، ولا العَدَدُ ولا العُدَدُ ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح.

[٣٠-٣٧] فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: اجعلوا في عنقه غُلًّا يخنقه. ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ

صَلُّوهُ﴾؛ أي: قلِّبوه على جمرها ولهبها. ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾؛ أي: انظِموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويعلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، ووا حسرة له من التوبيخ والعتاب؛ فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾: بأن كان كافرًا بربه معاندًا لرسله رادًّا ما جاءوا به من الحق.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوَّتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان؛ فلذلك استحقوا ما استحقوا. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿حَمِيمٌ﴾؛ أي: قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثوابه: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾. وليس له ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة والمرارة، ونتن الريح، وقبح الطعم، لا يأكل هذا الطعام الذميم ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾، الذين أخطؤوا الصراط المستقيم وسلكوا كل طريق يوصلهم إلى الجحيم فلذلك استحقوا العذاب الأليم.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٣٨-٤٣] أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق بل دخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى، ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك أن ينظروا في حال محمد ﷺ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، ليروا أمرًا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقًّا، وأن ما جاء به ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا يليق أن يكون قولًا للبشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته للخلق، وعلوه فوق عباده، وأيضًا، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته.

[٤٤-٤٧] فإنه لو ﴿تَقَوَّلَ﴾: عليه وافترى ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾: الكاذبة. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾: وهو عرق متصل بالقلب إذا انقطع هلك منه الإنسان؛ فلو قدر أن الرسول -حاشى وكلا- تقوَّل على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم قدير على كل شيء، فحكمته تقتضي ألا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾؛ أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله.

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن الكريم ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها، ويعملون عليها، يذكرهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين.

[٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾: به، وهذا فيه تهديد ووعيد للمكذبين، وأنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة.

[٥٠] ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: فإنهم لما كفروا به، ورأوا ما وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ولم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾؛ أي: أعلى مراتب العلم؛ فإن أعلى مراتب العلم: اليقين، وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول.

واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها: أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر، ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر، ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة. وهذا القرآن الكريم بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: نزهه عما لا يليق بجلاله، وقدسه بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله.

تم تفسير سورة الحاقة، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة سأل سائل

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾.

[١-٤] يقول تعالىٰ مُبيِّنًا لجهل المُعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتًا وتعجيزًا: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ أي: دعا داع، واستفتح مستفتح ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾: لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس لهذا العذاب - الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المشركين - أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا النضر بن الحارث القرشي أو غيره من المكذبين فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [إلىٰ آخر الآيات]؛ فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يُدَّخَرَ لهم في الآخرة؛ فلو عرفوا الله، وعرفوا عظمته، وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولاستسلموا وتأدبوا، ولهذا ذكر تعالىٰ من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: ذي العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما جعلها علىٰ تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برِّها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلىٰ الله، فيؤذن لها من سماء إلىٰ سماء، حتىٰ تنتهي إلىٰ السماء التي فيها الله ﷻ، فتُحيِّي ربها وتسلم عليه، وتحظىٰ بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام، وأما أرواح الفُجّار فتعرج، فإذا وصلت إلىٰ السماء استأذنت، فلا يُؤذن لها، وأعيدت إلىٰ الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والروح إلىٰ الله وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة علىٰ السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلىٰ وصولها ما حُدَّ لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلىٰ؛ فهذا الملك العظيم والعالم الكبير علويه وسفليه، جميعه قد تولىٰ خلقه وتدبيره العلي الأعلىٰ، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، [وعلم] مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره وإحسانه، ما عمهم وشملهم وأجرىٰ عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي.

فبؤسًا لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب علىٰ وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم!

هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل عليه.

ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله [تبارك و] تعالىٰ يُظهر لعباده في يوم القيامة من عظمته وجلاله وكبريائه ما هو أكبر دليل علىٰ معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة بالتدابير الإلهية، والشؤون الربانية. في ذلك اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالىٰ يخففه علىٰ المؤمن.

[٥-٧] وقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾؛ أي: اصبر علىٰ دعوتك لقومك صبرًا جميلًا، لا تضجُّر فيه ولا ملل، بل استمرَّ علىٰ أمر الله، وادْعُ عباده إلىٰ توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترىٰ من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر علىٰ ذلك خيرًا كثيرًا.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾: الضمير يعود إلىٰ البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، والذي غلبت عليه الشِّقوة والسكرة، حتىٰ تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبًا؛ لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، و[كل] ما هو آتٍ فهو قريب.

ثم ذكر أهوال ذلك اليوم وما [يكون] فيه، فقال:

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨﴾.

[٨-٩] أي: ﴿يَوۡمَ﴾ القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة ﴿تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾: وهو الرَّصاص المذاب من تشقُّقها وبلوغ الهول منها كل مبلغ. ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾: وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذلك هباء منثورًا فتضمحل.

[١٠-١٤] فإذا كان هذا الانزعاج والقلق لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟! أليس حقيقًا أن ينخلع قلبه و[ينزعج] له،

ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يشاهد الحميم - وهو القريب - حميمه، فلا يبقىٰ في قلبه مُتسع لسؤاله عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمه إلا نفسه.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: الذي حق عليه العذاب ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ﴾؛ أي: زوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾؛ أي: قرابته ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾؛ أي: التي جرت عادتها في الدنيا أن تتناصر ويعين بعضها بعضًا، ففي [يوم] القيامة، لا ينفع أحد أحدًا، ولا يشفع أحد إلا بإذن الله. بل لو يفتدي المجرم المستحق للعذاب بجميع ما في الأرضِ ثم ينجيه ذلك، لم ينفعه.

[١٥-١٨] ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت عليهم كلمة ربك، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾؛ أي: النار التي تتلظىٰ تنزع من شدتها للأعضاء الظاهرة والباطنة. ﴿تَدْعُو﴾: إلىٰ نفسها ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾؛ أي: أدبر عن اتباع الحق وأعرض عنه، فلا غرض له فيه، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها فلم ينفق منها ما ينفعه ويدفع عنه النار، فالنار تدعو هؤلاء إلىٰ نفسها، وتستعد للالتهاب بهم.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[١٩-٢١] وهذا الوصف للإنسان من حيث هو ووصف طبيعته [الأصلية]، أنه هلوع، وفسر الهلوع بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾: فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضىٰ الله.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾: فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله علىٰ نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء.

[٢٢-٢٣] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾: الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خوَّلهم [الله]، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا. وقوله في وصفهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾؛ أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها، وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتًا دون وقت، أو يفعلها علىٰ وجه ناقص.

الجزء التاسع والعشرون — سورة المعارج

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

٥٦٩

[٢٤-٢٥] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾: من زكاة وصدقة. ﴿لِلسَّائِلِ﴾: الذي يتعرض للسؤال، ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفطن له فيتصدق عليه.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: يؤمنون بما أخبر به، وأخبرت به الرسل، من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة، ويسعون لها سعيها، والتصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسل، وبما جاءوا به من الكتب.

[٢٧-٢٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾؛ أي: هو العذاب الذي يخشىٰ ويحذر.

[٢٩-٣١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾: فلا يطؤون بها وطأً محرمًا، من زنا أو لواطٍ، أو وطء في دبرٍ، أو حيضٍ، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضًا من النظر إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضًا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾؛ أي: سُرِّياتهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: في وطئهن في المحل الذي هو محل الحرث. ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: غير الزوجة وملك اليمين، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾؛ أي: المتجاوزون ما أحل الله إلىٰ ما حرم الله، ودلَّت

هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾؛ أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد الخلق عليه، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفَّاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾؛ أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوه، ويكون القصد بإقامتها وجه الله؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: بالمداومة عليها على أكمل الوجوه.

[٣٥] ﴿أُولَئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بتلك الصفات ﴿فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾؛ أي: قد أوصل الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

وحاصل هذا: أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق المَرضِيَّة الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ حقوقهم وأماناتهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكرهه الله تعالى.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾.

[٣٦-٣٩] يقول تعالى، مبينًا اغترار الكافرين: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ أي: مُسرعين. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ أي: قطعًا متفرقة وجماعات متنوعة، كل منهم بما لديه فرح. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؛ أيُّ سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود لرب العالمين، ولهذا قال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر بأمانيهم ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾.

[٤٠-٤١] هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للشمس والقمر والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث، وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعيانهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده.

[٤٢] فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾؛ أي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم.

[٤٣-٤٤] ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون اليوم الذي يوعدون، فقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾؛ أي: القبور، ﴿سِرَاعًا﴾: مُجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾؛ أي: كأنهم إلى علم يؤمون ويقصدون فلا يتمكنون من الاستعصاء على الداعي، ولا الالتواء عن نداء المُنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ﴾: وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت [منهم] الحركات، وانقطعت الأصوات، فهذه الحال والمآل، هو يومهم ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: ولابد من الوفاء بوعد الله.

تمت، والحمد لله.

تفسير سورة نوح عليه السلام

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ

لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي
وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾
وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا
﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ
أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ
لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

لم يذكر الله في هذه السورة إلا قصة نوح وحدها؛ لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلىٰ التوحيد ونهيه عن الشرك:

[١] فأخبر تعالىٰ أنه أرسل نوحًا إلىٰ قومه رحمةً بهم وإنذارًا [لهم] من عذاب أليم؛ خوفًا من استمرارهم علىٰ كفرهم، فيهلكهم [الله] هلاكًا أبديًا، ويعذبهم عذابًا سرمديًا.

[٢-٤] فامتثل نوح ﷺ لذلك، وابتدر لأمر الله، فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: واضح النذارة بيِّنها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأيِّ شيء تحصل النجاة، بيَّن ذلك بيانًا شافيًا، فأخبرهم وأمرهم بأصل ذلك فقال: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ وذلك بإفراده تعالىٰ بالعبادة والتوحيد، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله، فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلىٰ أجل مسمىٰ؛ أي: مُقدَّر البقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره إلىٰ وقت محدود، وليس المتاع أبدًا، فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: كما كفرتم بالله، وعاندتم الحق.

[٥-٧] فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره، فقال شاكيًا لربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي: نفورًا عن الحق وإعراضًا، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: لأجل أن يستجيبوا فإذا استجابوا غفرت لهم، وهذا محض مصلحتهم، ولكن أبوا إلا تماديًا علىٰ باطلهم، ونفورًا عن الحق، ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾؛ حَذَرَ سماع ما يقول لهم نبيهم نوح ﷺ، ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾؛ أي تغطوا بها غطاء يغشاهم بُعدًا عن الحق وبغضًا له، ﴿وَأَصَرُّوا﴾: علىٰ كفرهم وشرهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: علىٰ الحق ﴿اسْتِكْبَارًا﴾: فشرهم ازداد، وخيرهم بَعُدَ.

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[٨-٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾؛ أي: بمسمع منهم كلهم. ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل طريق يظن به حصول المقصود.

[١٠-١٢] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾؛ أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله منها؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب، ورغبهم أيضًا بخير الدنيا العاجل، فقال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾؛ أي: مطرًا متتابعًا، يروي الشعاب والوهاد، ويُحيي البلاد والعباد. ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾: وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها.

[١٣-١٤] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؛ أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ أي: خلقًا من بعد خلق في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن الطفولية، ثم التمييز، ثم الشباب، ثم إلىٰ آخر ما يصل إليه الخلق ، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم علىٰ المعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر علىٰ أن يعيدهم بعد موتهم.

الجزء التاسع والعشرون | سورة نوح

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

٥٧١

[١٥-١٦] واستدل أيضًا بخلق السموات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ أي: كل سماء فوق الأخرىٰ. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: لأهل الأرض ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: ففيه تنبيه علىٰ عظم خلق هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر، الدالة علىٰ رحمة الله وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يُعظَّم ويُحبَّ ويُخاف ويُرجىٰ.

[١٧-١٨] ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: حين خلق أباكم آدم وأنتم في صلبه، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: عند الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: للبعث والنشور؛ فهو الذي يملك الحياة والموت والنشور.

[١٩-٢٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ أي: مبسوطة مُهيأة للانتفاع بها. ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾: فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء والسكون علىٰ ظهرها.

[٢١-٢٤] ﴿قَالَ نُوحٌ﴾: شاكيًا لربه: إن هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجع فيهم ولا أفاد: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾: فيما أمرتهم به، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: عصوا الرسول الناصح الدال علىٰ الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خسارًا؛ أي: هلاكًا وتفويتًا للأرباح؛ فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟! ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾؛ أي: مكرًا كبيرًا بليغًا في معاندة الحق. قالوا لهم داعين إلىٰ الشرك مزينين له: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: فدعوهم إلىٰ التعصب علىٰ ما هم عليه من الشرك، وألا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، ثم عينوا آلهتهم فقالوا: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: وهذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم؛ لينشطوا بزعمهم علىٰ الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا وصَّىٰ رؤساؤهم للتابعين لهم ألا يَدَعوا عبادة هذه الأصنام، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾؛ أي: أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرًا من الخلق. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾؛ أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم للحق، لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضلالًا؛ أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولصلاحهم.

[٢٥] ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾: في اليم الذي أحاط بهم، ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾: فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحَرَق. وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم [نوح] يُنذِرُهم عنها ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حتىٰ حل بهم النكال، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾: ينصرونهم حين نزل بهم الأمرُ الأمرُّ، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر.

[٢٦-٢٧] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾: يدور علىٰ وجه الأرض. وذكر السبب في ذلك، فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح ذلك، لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم؛ علم بذلك نتيجة أعمالهم؛ فلهذا استجاب الله له دعوته، فأغرقهم أجمعين ونجىٰ نوحًا ومَنْ معه مِنَ المؤمنين.

[٢٨] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾: خصَّ المذكورين لتأكد حقهم وتقديم برهم، ثم عمم الدعاء، فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾؛ أي: خسارًا ودمارًا وهلاكًا.

تم تفسير سورة نوح، والحمد لله.

تفسير سورة قل أوحي إلي

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾.

[١] أي: ﴿قُلْ﴾: يا أيها الرسول للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: صرفهم الله إلىٰ رسوله لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة وتتم عليهم النعمة ويكونوا مُنذرين لقومهم، وأمر [الله] رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلىٰ قلوبهم. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾؛ أي: من العجائب الغالية والمطالب العالية.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: والرشد: اسم جامع لكل ما يُرشد الناس إلىٰ مصالح دينهم ودنياهم، ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾: فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوىٰ المتضمنة لترك الشر، وجعلوا السبب الداعي لهم إلىٰ الإيمان وتوابعه ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار؛ فإن ذلك آية عظيمة، وحُجة قاطعة لمن استنار به واهتدىٰ بهديه، وهذا الإيمان النافع المُثمر لكل خير، المبني علىٰ هداية القرآن؛ بخلاف إيمان العوائد والمَرْبَىٰ والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشُّبهات والعوارض الكثيرة.

[﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④﴾].

[٣] ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾: فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم علىٰ بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدًا؛ لأن له العظمة والجلال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنىٰ.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾؛ أي: قولًا جائرًا عن الصواب، متعديًا للحد، وما حمله علىٰ ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزينًا مطمئنًا لعرف كيف يقول.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤﴾.

[٥] أي: كنا مُغترين قبل ذلك، غرتنا السادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحْسَنَّا بهم الظن، وحسبناهم لا يتجرؤون علىٰ الكذب علىٰ الله، فلذلك كنا قبل ذلك علىٰ طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، سلكنا طريقه، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من الخلق يُعارض الهدىٰ.

الجزء التاسع والعشرون — سُورَةُ الجِنّ

سُورَةُ الجِنّ — ٧٢ — ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ⑦ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑨ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑩ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ⑪ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ⑫ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ⑬

٥٧٢

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥﴾.

[٦] أي: كان الإنس يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم، فزاد الإنسُ الجنَّ رهقًا؛ أي: طغيانًا وتكبرًا، لما رأوا الإنس يعبدونهم ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير وهي الواو ترجع إلىٰ ﴿الْجِنِّ﴾؛ أي: زاد الجنُّ الإنسَ ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجئوهم إلىٰ الاستعاذة بهم والتمسك بما هم عليه، فكان الإنسي إذا نزل بوادٍ مَخُوف، قال: «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه».

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ⑦﴾.

[٧] أي: فلما أنكروا البعث أقدموا علىٰ الشرك والطغيان.

[﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑨﴾].

[٨-٩] ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾؛ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾: عن الوصول إلىٰ أرجائها والدنو منها، ﴿وَشُهُبًا﴾: يُرمىٰ بها من استرق السمع، وهذا مخالف لعادتنا الأولىٰ، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلىٰ خبر السماء فإنَّا ﴿كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي:

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

مرصدًا له، مُعدًّا لإتلافه وإحراقه، أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالىٰ أراد أن يُحدِث في الأرض حادثًا كبيرًا، من خير أو شر، فلهذا قالوا:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرًا أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلىٰ الله تعالىٰ، والشر حذفوا فاعله تأدبًا [مع الله].

[﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾].

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فُسَّاق وفُجَّار وكُفَّار، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: فرقًا متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه.

[﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾].

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾: وهو القرآن الكريم، الهادي إلىٰ الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا فـ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: من آمن به إيمانًا صادقًا؛ فلا عليه نقصٌ ولا أذىٰ يلحقه، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داعٍ إلىٰ [حصول] كل خير وانتفاء كل شر.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾؛ أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾؛ أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلىٰ الجنة ونعيمها.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ [وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾].

[١٥-١٧] ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وذلك جزاء علىٰ أعمالهم، لا ظلم من الله لهم، فإنهم لو ﴿ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: المثلىٰ، ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم، ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لنختبرهم [فيه] ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب، ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقد له، بل لها عنه وغفل، يسلكه عذابًا صعدًا؛ أي: بليغًا شديدًا.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ [وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾].

[١٨] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾؛ أي: لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة؛ فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية علىٰ الإخلاص لله والخضوع لعظمته والاستكانة لعزته.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾؛ أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كَاد الجن من تكاثرهم عليه، ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾؛ أي: متلبدين متراكمين حرصًا علىٰ [سماع] ما جاء به من الهدىٰ.

[٢٠] ﴿قُلۡ﴾: لهم يا أيها الرسول، مبينًا حقيقة ما تدعو إليه: ﴿إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾؛ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه.

[٢١-٢٢] ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾: فإني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شيء، ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾؛ أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرًّا ولا رشدًا، ولا يمنع نفسه من الله شيئًا إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولىٰ وأحرىٰ. ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾؛ أي: ملجأ ومنتصرًا.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾؛ أي: ليس لي مزية علىٰ الناس إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة خلقه إليه، وبذلك تقوم الحُجة علىٰ الناس. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة، وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت علىٰ ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: شاهدوه عيانًا، وجزموا أنه واقع بهم، ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾: في ذلك الوقت حقيقة المعرفة ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾: حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادىٰ كما خلقوا أول مرة.

[٢٥-٢٦] ﴿قُلۡ﴾ لهم إن سألوك فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾؟: ﴿إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾؛ أي: غاية طويلة، فَعِلمُ ذلك عند الله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾: من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيوب.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾؛ أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم؛ فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدًا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتىٰ يبلغوه علىٰ حقيقته، من غير أن تقربه الشياطين، فيزيدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾؛ أي: يحفظونه بأمر الله.

[٢٨-٢٩] ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ بذلك ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: بما جعله لهم من الأسباب، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾؛ أي: بما عندهم، وما أسروه وما أعلنوه، ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾.

وفي هذه السورة فوائد عديدة:

منها: وجود الجن، وأنهم [مكلفون] مأمورون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في هذه السورة وغيرها.

ومنها: أن رسول الله ﷺ مبعوث إلىٰ الجن، كما هو مبعوث إلىٰ الإنس، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحىٰ إليه ويبلغوا قومهم.

ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلىٰ الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم.

ومنها: اعتناء الله برسوله، وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت من أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به أهل الأرض رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدًا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام.

ومنها: شدة حرص الجن علىٰ استماعهم للرسول ﷺ وتراكمهم عليه.

ومنها: أن هذه السورة قد اشتملت علىٰ الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمدًا ﷺ إذا كان لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًّا، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والظلم اتخاذ من هذا وصفه إلهًا آخر.

ومنها: أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق: إلا من ارتضاه الله واختصه بعلم شيء منها.

تم تفسيرها، والحمد لله رب العالمين.


سورة المزمل
بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها المزمل ﴿١﴾ قم الليل إلا قليلا ﴿٢﴾ نصفه أو انقص منه قليلا
﴿٣﴾ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ﴿٤﴾ إنا سنلقي عليك قولا
ثقيلا ﴿٥﴾ إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا ﴿٦﴾ إن لك في
النهار سبحا طويلا ﴿٧﴾ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴿٨﴾
رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴿٩﴾ واصبر
على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴿١٠﴾ وذرني والمكذبين
أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴿١١﴾ إن لدينا أنكالا وجحيما ﴿١٢﴾
وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴿١٣﴾ يوم ترجف الأرض والجبال
وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴿١٤﴾ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا
عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴿١٥﴾ فعصى فرعون الرسول
فأخذناه أخذا وبيلا ﴿١٦﴾ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل
الولدان شيبا ﴿١٧﴾ السماء منفطر به كان وعده مفعولا ﴿١٨﴾
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴿١٩﴾
٥٧٤

تفسير سورة المزمل
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ
اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ
اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ
وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي
وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾.

[١-٥] المزمل: المتغطي بثيابه كالمدثر، وهذا الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته، وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأىٰ أمرًا لم ير مثله، ولا يقدر علىٰ الثبات عليه إلا المرسلون، فاعتراه عند ذلك انزعاج حين رأىٰ جبريل عليه السلام، فأتىٰ إلىٰ أهله، فقال: «زملوني زملوني» وهو ترعد فرائصه، ثم جاءه جبريل فقال: «اقرأ» فقال: «ما أنا بقارئ» فغطه حتىٰ بلغ منه الجهد، وهو يعالجه علىٰ القراءة، فقرأ ﷺ[(١)]، ثم ألقىٰ الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحي، حتىٰ بلغ مبلغًا ما بلغه أحد من المرسلين.

فسبحان الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها! ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره، فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر علىٰ أذية قومه، ثم أمره بالصدع بأمره وإعلان دعوتهم إلىٰ الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل. ومن رحمته [تعالىٰ] أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ثم قدر ذلك فقال: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾؛ أي: من النصف ﴿قَلِيلًا﴾: بأن يكون الثلث ونحوه. ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: علىٰ النصف، فيكون نحو الثلثين. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾؛ فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، فإنه قال: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: نوحي إليك هذا القرآن الثقيل؛ أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يُتَهيأ له ويرتل ويتفكر فيما يشتمل عليه.

[٦] ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾؛ أي: الصلاة فيه بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: أقرب إلىٰ حصول مقصود القرآن؛ يتواطأ عليه القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره.

[٧] وهذا بخلاف النهار؛ فإنه لا يحصل به هذه المقاصد، ولهذا قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أي: ترددًا في حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام.

[٨] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: شامل لأنواع الذكر كلها ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾؛ أي: انقطع إليه، فإن الانقطاع إلىٰ الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وما يقرب إليه، ويدني من رضاه.

[٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب كلها؛ فهو تعالىٰ رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود إلا وجه الأعلىٰ، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾؛ أي: حافظًا ومدبرًا لأمورك كلها.

[١٠] فلما أمره الله بالصلاة خصوصًا، وبالذكر عمومًا، وذلك يحصِّل للعبد مَلَكةً قويةً في تحمل الأثقال، وفعل المُشِقِّ من الأعمال، أمره بالصبر علىٰ ما يقوله المعاندون له ويسبونه

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة [الهجر]، الذي لا أذية فيه، بل يعاملهم بالهجر والإعراض عن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: اتركني وإياهم، فسأنتقم منهم، وإن أمهلتهم فلا أهملهم، وقوله: ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾؛ أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾.

ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال:

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾.

[١٢-١٣] أي: إن عندنا ﴿أَنكَالًا﴾؛ أي: عذابًا شديدًا، جعلناه تنكيلًا للذي لا يزال مستمرًّا على ما يُغضب الله. ﴿وَجَحِيمًا﴾؛ أي: نارًا حامية ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ وذلك لمرارته وبشاعته، وكراهة طعمه وريحه الخبيث المنتن، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: موجعًا مفظعًا.

[١٤] وذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: من الهول العظيم، فكانت ﴿الْجِبَالُ﴾: الراسيات الصم الصلاب ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾؛ أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تُبَسُّ بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾.

[١٥-١٦] يقول تعالى: احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروا، فتعصوا رسولكم، فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فدعاه إلى الله، وأمره بالتوحيد، فلم يصدقه، بل عصاه، فأخذه الله ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: شديدًا بليغًا.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝١٧ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝١٨﴾.

[١٧-١٨] أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره، العظيم خطره، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام، فتنفطر به السماء وتنتثر نجومها ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾؛ أي: لا بد من وقوعه، ولا حائل دونه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝١٩﴾.

[١٩] أي: إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهوالها، تذكرة يتذكر بها المتقون، وينزجر بها المؤمنون، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقًا موصلًا إليه، وذلك باتباع شرعه، فإنه قد أبانه كل البيان، وأوضحه غاية الإيضاح، وفي هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم ومكنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في هذا الموضع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين، ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس، أخبر أنه سهَّل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؛ أي: يعلم مقاديرهما وما يمضي ويبقى منهما. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾؛ أي: لن تعرفوا مقداره من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يستدعي انتباهًا وعناء زائدًا؛ أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر أو نقص، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾؛ أي: مما تعرفون ولا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأمورًا بالصلاة ما دام نشيطًا؛ فإذا فتر أو كسل أو نعس؛ فليسترح ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة.

ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾: يشق عليهم صلاة نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه، فليُصل المريض ما يسهُل عليه، ولا يكون أيضًا مأمورًا بالصلاة قائمًا عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة؛ فله تركها وله أجر ما كان يعمل صحيحًا. ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾؛ أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة؛ ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا عنهم؛ أي: فالمسافر حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية.

وكذلك ﴿آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: فذكر تعالى تخفيفين، تخفيفًا للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه، من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت، بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه الأول، وتخفيفًا للمريض والمسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة من جهاد، أو حج، أو غيره؛ فإنه [أيضًا] يُراعي ما لا يكلفه؛ فلله الحمد والثناء، حيث لم يجعل علينا في الدين من حرج، بل سهَّل شرعه، وراعى أحوال عباده ومصالح دينهم وأبدانهم ودنياهم.

الجزء التاسع والعشرون — سورة المزمل

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر ٧٤ — ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٥٧٥

ثم أمر العباد بعبادتين، هما أمُّ العبادات وعمادها: إقامة الصلاة التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان، وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ بأركانها وحدودها وشروطها، وجميع مُكمِّلاتها، ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: خالصًا لوجه الله، بنيةٍ صادقة، وتثبيت من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا الصدقة الواجبة والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله فقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

وليعلم أن مثقال ذرة في هذه الدار من الخير، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات! ووا حسرتاه على أزمان تقضّت في غير الأعمال الصالحات! ووا غوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها من نفسها، فلك اللهم الحمد، وإليك المُشتكى، وبك المُستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير فائدة كبيرة، وذلك أن العبد لا يخلو من التقصير فيما أمر به، إما ألا يفعله أصلًا أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار؛ فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك.

تم تفسيرها، والحمد لله.

تفسير سورة المدثر
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

[١-٢] تقدم أن المزمل والمدثر بمعنىً واحد، وأن الله أمر رسوله ﷺ بالاجتهاد في عبادات الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بالإعلان بالدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: ﴿قُمْ﴾؛ أي: بجد ونشاط ﴿فَأَنذِرْ﴾؛ الناس بالأقوال والأفعال التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذَر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه.

[٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته.

[٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: يحتمل أن المراد بالثياب أعماله كلها، وبتطهيرها: تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شِركٍ ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة؛ فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصًا في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروطها.

ويُحتمل أن المراد بثيابه الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات في جميع الأوقات، خصوصًا عند الدخول في الصلوات.

[٥] وإذا كان مأمورًا بطهارة الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان التي عبدت مع الله، فأمره بتركها والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل، ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرًا له بترك الذنوب صغارها

وكبارها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في هذا الشِّرك فما دونه.

[٦] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتستكثر بتلك المنة، وترى لك الفضل عليهم، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانْسَ عندهم إحسانك، واطلب أجرك من الله تعالى واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد سواء.

وقد قيل: إن معنى هذا ألا تعطي أحدًا شيئًا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصًّا بالنبي ﷺ.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾؛ أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر فيه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يُعبد من دون الله وما يُعبد معه من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس بعد منة الله من غير أن يطلب عليهم بذلك جزاء ولا شكورًا، وصبر لربه أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾.

[٨-١٠] أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخلائق للبعث والنشور، ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: لكثرة أهواله وشدائده، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾؛ لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

[١١-٣٠] هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة(١)، المُعاند للحق، المبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذمًّا لم يذم به غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ أي: خلقته منفردًا، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزل أربيه وأعطيه، فجعلت ﴿لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾؛ أي: كثيرًا ﴿وَ﴾ جعلت له ﴿بَنِينَ﴾؛ أي: ذكورًا ﴿شُهُودًا﴾؛ أي: حاضرين عنده على الدوام يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾؛ أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل له ما يشتهي ويريد، ﴿ثُمَّ﴾: مع هذه النعم والإمدادات ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؛ أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا.

﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض عنها وتولى، بل جعل يُحاربها ويسعى في إبطالها، ولهذا قال عنه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾؛ أي: في نفسه. ﴿وَقَدَّرَ﴾: ما فكر فيه، ليقول قولًا يبطل به القرآن.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ لأنه قدر أمرًا ليس في طوره، وتسوَّر على ما لا يناله هو ولا أمثاله، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: ما يقول، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾: في وجهه، وظاهره نَفرة عن الحق وبغضًا

الجزء التاسع والعشرون — سورة المدثر

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

٥٧٦

---

(١) أخرجه الحاكم في «المُستدرك» (٢/ ٥٠٦)، وانظر: «صحيح السيرة النبوية» للعلامة الألباني (ص١٥٨-١٥٩)، وضعفه العلامة الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص٢٢٥).

له، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾؛ أي: تولىٰ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾؛ أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضًا كلام البشر الأخيار، بل كلام الأشرار منهم والفجار، من كل كاذبٍ سحَّار.

فتبًّا له! ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير أيِّ إنسان، أن يكون أعلىٰ الكلام وأعظمه، كلام الرب الكريم، الماجد العظيم، يُشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، علىٰ وصفه بهذا الوصف لكلام الله تعالىٰ.

فما حقه إلا العذاب الشديد [والنكال]، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي: لا تبقي من الشدة، ولا علىٰ المعذب شيئًا إلا وبلغته. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي: تلوحهم وتُصليهم في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرِّها. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: من الملائكة، خزنةٌ لها، غِلاظ شِداد لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾: وذلك لشدتهم وقوتهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعذاب يسمىٰ فتنة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾.

ويُحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ممن يكذب، ويدل علىٰ هذا ما ذكره بعده في قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾: فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطابقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون كلما أنزل الله آية، فآمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم، ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: ليزول عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد جليلة، يعتني بها أولو الألباب، وهي السعي في اليقين، وزيادة الإيمان في كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة الحق، فجعل ما أنزله الله علىٰ رسوله محصلًا لهذه المقاصد الجليلة، ومميزًا للصادقين من الكاذبين، ولهذا قال: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شك وشبهة ونفاق. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: وهذا علىٰ وجه الحيرة والشك منهم والكفر بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله لمن يُضله، ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: فمن هداه الله، جعل ما أنزل علىٰ رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه، ومن أضله؛ جعل ما أنزله علىٰ رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمة في حقه، والواجب أن يُتَلَقىٰ ما أخبر الله به ورسولُه بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾: فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب، ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؛ أي: وما هذه الموعظة والتذكار مقصودًا به العبث واللعب، وإنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٣٢-٣٤] ﴿كَلَّا﴾: هنا بمعنىٰ: حقًّا، أو بمعنىٰ «ألا» الاستفتاحية، فأقسم تعالىٰ بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، لاشتمال المذكورات علىٰ آيات الله العظيمة، الدالة علىٰ كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه.

[٣٥-٣٧] والمقسم عليه قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾؛ أي: إن النار لإحدىٰ العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم علىٰ بصيرة من أمرها، فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه إلىٰ الله، ويدنيه من رضاه، ويزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له وعما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلىٰ جهنم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ الآية.

[٣٨-٤٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: من أفعال الشر وأعمال السوء ﴿رَهِينَةٌ﴾: بها موثقة بسعيها، قد أُلزم عنقها، وغُلَّ في رقبتها، واستوجبت به العذاب، ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: فإنهم لم يرتهنوا، بل أطلقوا وفرحوا ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: في جنات قد حصل لهم فيها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتىٰ أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أيُّ حالٍ وصلوا إليها؟ وهل وجدوا ما وعدهم الله [تعالىٰ]؟ فقال بعضهم لبعض: «هل أنتم مطلعون عليهم» فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يُعذبون، فقالوا لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ أي: أيُّ شيء أدخلكم فيها؟ وبأي: ذنب استحقيتموها؟ فـ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾: فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

﴿الْخَائِضِينَ﴾؛ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: هذه آثار الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومن أحق الحق يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق.

فاستمرَّ عملنا على هذا المذهب الباطل ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾؛ أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل، وانسدَّ في وجوههم باب الأمل، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾؛ لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم.

[٤٩-٥٣] فلما بين الله مآل المُخالفين، وبيَّن ما يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم، فقال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: صادين غافلين عنها، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: في نفرتهم الشديدة منها ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾؛ أي: [كأنهم] حُمُرُ وحشٍ نفرت؛ فنفَّر بعضها بعضًا فزاد عَدْوُها، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾؛ أي: من صائدٍ ورام يُريدها، أو من أسدٍ ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النُّفور عن الحق، ومع هذا النفور والإعراض، يدَّعون الدَّعاوىٰ الكبار؛ فيريد ﴿كُلُّ﴾ واحد ﴿مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: نازلة عليه من السماء؛ يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا؛ فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم؛ لأنهم جاءتهم الآيات البينات، التي تبين الحق وتوضحه؛ فلو كان فيهم خير لآمنوا، ولهذا قال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: فلو كانوا يخافونها؛ لما جرىٰ منهم ما جرىٰ.

[٥٤-٥٦] ﴿كَلَّا [إِنَّهُ] تَذْكِرَةٌ﴾: الضمير إمَّا أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه الموعظة، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: لأنه قد بين له السبيل ووضح له الدليل. ﴿[وَمَا يَذْكُرُونَ] إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: فإن مشيئة الله نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير؛ ففيها رد على القدرية؛ الذين لا يُدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية، الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة ولا فعل حقيقةً، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالىٰ للعباد مشيئةً حقيقةً وفعلًا، وجعل ذلك تابعًا لمشيئته، و﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: هو أهل أن يُتقىٰ ويُعبد؛ لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه.

تمت، ولله الحمد والمنة.

الجزء التاسع والعشرون — سورة القيامة

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ — ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

٥٧٧

تفسير سورة القيامة

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾﴾.

[١] ليست ﴿لَا﴾ هاهنا نافية، ولا زائدة وإنما أتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

فالمقسم به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم.

[٢] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾: وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سُمِّيت: لَوَّامة لكثرة تلوُّنها وتردُّدها وعدم ثبوتها

علىٰ حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها علىٰ ما فعلت، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا علىٰ ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلىٰ الجزاء، وبين مُستحق الجزاء.

[٣-٤] ثم أخبر مع هذا أن بعض المُعاندين يُكذبون بيوم القيامة، فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: بعد الموت، كما قال [في الآية الأخرىٰ]: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾، فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله علىٰ خلق عظامه التي هي عماد البدن، فرد عليه بقوله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾؛ أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مُستلزم لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وُجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد.

[٥-٦] وليس إنكاره لقدرة الله تعالىٰ قصورًا بالدليل الدال علىٰ ذلك، وإنما وقع ذلك منه لأن إرادته وقصده التكذيب بما أمامه من البعث، والفجور: الكذب مع التعمُّد.

ثم ذكر أحوال القيامة فقال:

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾.

[٧-١٠] أي: ﴿فَإِذَا﴾ كانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾؛ أي: ذهب نوره وسلطانه، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالىٰ، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرىٰ العباد أنهما عبدان مسخران، وليرىٰ من عَبدهما أنهم كانوا كاذبين، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: حين يرىٰ تلك القلاقل المُزعجات: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؛ أي: أين الخلاص والفِكاك مما طَرَقنا وألمَّ بنا؟

[١١-١٣] ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾؛ أي: لا ملجأ لأحد دون الله، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليُجزىٰ بعمله، ولهذا قال: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ أي: بجميع عمله الحسن والسيىء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره.

[١٤-١٥] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾؛ أي: شاهدٌ ومُحاسبٌ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: فإنها معاذير لا تُقبل، بل يُقرر بعمله، فيُقر به، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله؛ فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئًا؛ لأنه يشهد عليه سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

[١٦-١٩] كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالوحي، وشرع في تلاوته [عليه]، بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه[1]، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: وقال هنا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

ثم ضمن له تعالىٰ أنه لا بد أن يحفظه ويقرأه، ويجمعه الله في صدره، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ فالحرص الذي في خاطرك إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: إذا أكمل جبريل ما يوحىٰ إليك، فحينئذ اتبع ما قرأه فاقرأه. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾؛ أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلىٰ ما يكون، فامتثل ﷺ لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم: ألا يبادر المتعلم للعلم قبل أن يفرغ المُعلم من المسألة التي شرع فيها؛ فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، ألا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهمًا يتمكن فيه من الكلام فيه علىٰ وجه الصواب، وفيها: أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٠-٢١] أي: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾، وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها علىٰ الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار التي تبذل فيها نفائس الأعمار ويسعىٰ لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل، فلو آثرتم الآخرة علىٰ الدنيا، ونظرتم العواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربحًا لا خسار معه، وفزتم فوزًا لا شقاء يصحبه.

[٢٢-٢٣] ثم ذكر ما يدعو إلىٰ إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة علىٰ الدنيا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٧)، ومسلم (٤٤٨).

﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ أي: ينظرون إلىٰ ربهم علىٰ حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيًّا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالًا إلىٰ جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.

[٢٤-٢٥] وقال في المؤثرين العاجلة علىٰ الآجلة: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾؛ أي: معبسة وكدرة، خاشعة ذليلة. ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾؛ أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

[٢٦-٣٠] يعظ تعالىٰ عباده بذكر المحتَضَر حال السياق، وأنه إذا بلغت روحه ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾؛ أي: من يرقيه، من الرقية؛ لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فتعلقوا بالأسباب الإلهية، ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: للدنيا. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾؛ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح من البدن الذي أَلِفته ولم تزل معه، فتساق إلىٰ الله تعالىٰ، ليجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها، فهذا الزجر الذي ذكره الله يسوق القلوب إلىٰ ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها.

[٣١-٣٣] ولكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات لا يزال مُستمرًّا علىٰ غَيِّه وكفره وعنادِه، ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾؛ أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: بالحق في مقابلة التصديق، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، بل ﴿ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي: ليس علىٰ باله شيء.

[٣٤-٣٥] ثم توعده بقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾: وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده.

[٣٦-٤٠] ثم ذكَّر الإنسان بخلقه الأول، فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: مُهملًا، لا يُؤمر ولا يُنهىٰ، ولا يُثاب ولا يُعاقب؟ هذا حسبان باطل وظن بالله غير ما يليق بحكمته.

سورة القيامة — الجزء التاسع والعشرون

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ﴾: بعد المني ﴿عَلَقَةً﴾؛ أي: دمًا، ﴿فَخَلَقَ﴾: الله منها الحيوان وسواه؛ أي: أتقنه وأحكمه، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي خلق الإنسان وطوره إلىٰ هذه الأطوار المختلفة ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ بلىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير. تم تفسير سورة القيامة، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله علىٰ مُحمدٍ وسلم.

تفسير سورة الإنسان

وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

[١] ذكر الله في هذه السورة أول حال الإنسان ومنتهاها ومتوسطها: فذكر أنه مر عليه دهر طويل، وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم، بل ليس مذكورًا.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

٥٧٩

[٢] ثم لما أراد خلقه، خلق أباه آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلًا ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾؛ أي: ماء مهين مُستقذر ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: بذلك؛ لنعلم هل يرى حاله الأولى ويتفطن لها أم ينساها وتغره نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوى الظاهرة والباطنة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.

[٣] ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه الطريق الموصلة إليه وبيَّنها، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إليه، ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك، ورهبه عنها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حمله الله من حقوقه، وإلى كفور للنعم، أنعم الله عليه بالنعم الدينية والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك. [ثم ذكر تعالى الفريقين عند الجزاء، فقال]:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

[٤] أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجرأ على معاصيه ﴿سَلَـٰسِلَا۟﴾: في نار جهنم؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾، ﴿وَأَغْلَـٰلًا﴾: تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها، ﴿وَسَعِيرًا﴾؛ أي: نارًا تستعر بها أجسامهم وتحرق بها أبدانهم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، وهذا العذاب الدائم مؤبَّدٌ لهم، مُخلَّدون فيه سرمدًا.

[٥] وأما ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾، وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من معرفة الله ومحبته، والأخلاق الجميلة، فبرت أعمالهم، واستعملوها بأعمال البر، فأخبر أنهم ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾؛ أي: شراب لذيذ من خمر [قد] مزج بكافور أي: خلط به ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية اللذة قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا، فإن الآفة الموجودة في الدنيا تعدم من الأسماء التي ذكرها الله في الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

[٦] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربونه، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيرًا، أنى شاءوا، وكيف أرادوا، فإن شاءوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أي جهة يرونها من الجهات المؤنَّقات.

[٧] ثم ذكر جملة من أعمالهم، فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾؛ أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا

يوفون بالنذر الذي هو غير واجب في الأصل عليهم، إلا بإيجابهم علىٰ أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية، من باب أولىٰ وأحرىٰ، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾؛ أي: فاشيًا منتشرًا، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك.

[٨-١٠] ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾؛ أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله علىٰ محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولىٰ الناس وأحوجهم ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالىٰ، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: لا جزاء ماليًا ولا ثناءً قوليًا. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾؛ أي: شديد الجهمة والشر ﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: ضنكًا ضيقًا.

[١١] ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾: فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾؛ أي: أكرمهم وأعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾: في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾: في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن.

[١٢] ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾: علىٰ طاعته، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصيه، فتركوها، وعلىٰ أقداره المؤلمة، فلم يتسخطوها، ﴿جَنَّةً﴾: جامعة لكل نعيم، سالمة من كل مكدر ومنغص، ﴿وَحَرِيرًا﴾؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: ولعل الله إنما خص الحرير؛ لأنه لباسهم الظاهر، الدال علىٰ حال صاحبه.

[١٣] ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: الاتكاء: التمكن من الجلوس في حال الطمأنينة والراحة والرفاهية، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾: يضرهم حرها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: بردًا شديدًا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد.

[١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾؛ أي: قربت ثمراتها من مُريدها تقريبًا، ينالها وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع.

[١٥-١٦] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾؛ أي: يدور الولدان والخدم علىٰ أهل الجنة ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: مادتها فضة، وهي علىٰ صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء؛ أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها علىٰ صفاء القوارير. ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي: قدروا الأواني المذكورة علىٰ قدر ريِّهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تكفهم لريِّهم. ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بمقدار يوافق لذتهم، فأتتهم علىٰ ما قدروا في خواطرهم.

[١٧-١٨] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: الجنة ﴿كَأْسًا﴾: وهو الإناء [المملوء] من خمر ورحيق. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾؛ أي: خلطها ﴿زَنجَبِيلًا﴾: ليطيب طعمه وريحه. ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾؛ [أي: في الجنة]، ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

[١٩] ﴿وَيَطُوفُ﴾: علىٰ أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾: منتشرين في خدمتهم ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾: من حسنهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: وهذا من تمام لذة أهل الجنة؛ أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون في مساكنهم آمنين من تَبِعتهم، ويأتونهم بما يدَّعون وتطلبه نفوسهم.

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾؛ أي: رمقت ما أهل الجنة عليه من النعيم الكامل ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: فتجد الواحد منهم، عنده من [القصور و] المساكن والغرف المُزيَّنة المُزخرفة ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس، وعنده من الزوجات، اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورًا، ولذة وحبورًا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة، ثم علاوة ذلك ومُعظمه الفوز برضا الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان المالك الملك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، كما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه.

[٢١] ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾؛ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الحرير والإستبرق: ما رقَّ منه. ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولًا، لأنه لا أصدق منه قيلًا ولا حديثًا. وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾؛ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرًا لما في بطونهم من كل أذىٰ وقذىٰ.

[٢٢] ﴿[إِنَّ] هَٰذَا﴾: الجزاء الجزيل [والعطاء الجميل] ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: علىٰ ما أسلفتموه من الأعمال، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: القليل [منه]، يجعل الله لكم به من النعيم [المقيم] ما لا يمكن حصره.

[٢٣] وقوله تعالىٰ لما ذكر نعيم الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾: فيه الوعد والوعيد وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر علىٰ ذلك.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ
خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

[٢٤] ولهذا قال: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾؛ أي: اصبر لحكمه القدري، فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقنك عنه عائق. ﴿وَلَا تُطِعۡ﴾: من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك ﴿ءَاثِمًا﴾؛ أي: فاعلًا إثمًا ومعصية ولا ﴿كَفُورٗا﴾: فإن طاعة الكفار والفجار والفساق لا بد أن تكون معصية لله؛ فإنهم لا يأمرون إلا بما تهواه أنفسهم.

[٢٥] ولما كان الصبر يُستمدُّ من القيام بطاعة الله والإكثار من ذكره؛ أمر الله بذلك فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾؛ أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات.

[٢٦] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾؛ أي: أكثر له من السجود، وذلك متضمن لكثرة الصلاة. ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾.

[٢٧] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: المُكذبين لك أيها الرسول! بعدما بينت لهم الآيات، ورُغبوا ورُهبوا، ومع ذلك، لم يفد فيهم ذلك شيئًا، بل لا يزالون يؤثرون، ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: ويطمئنون إليها، ﴿وَيَذَرُونَ﴾؛ أي: يتركون العمل ويهملون ﴿وَرَآءَهُمۡ﴾؛ أي: أمامهم ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾: وهو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وقال تعالىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾؛ فكأنهم ما خُلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها.

[٢٨] ثم استدل عليهم وعلىٰ بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: أوجدناهم من العدم، ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾؛ أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوىٰ الظاهرة والباطنة، حتىٰ تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم علىٰ هذه الحالة قادر علىٰ أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقّلهم في هذه الدار إلىٰ هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سدىً، لا يؤمرون، ولا يُنهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾؛ أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرىٰ، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾؛ أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾؛ أي: طريقًا موصلًا إليه، فالله يبين الحق والهدىٰ، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها؛ إقامةً للحُجة؛ ليهلكَ من هَلَكَ عن بيِّنةٍ، ويحيا من حيَّ عن بينة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: فإن مشيئة الله نافذة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾: فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال.

[٣١] ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾: فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة، ويهديه لطُرُقها، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين اختاروا الشقاء علىٰ الهدىٰ، ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾: بظلمهم وعدوانهم.

تمت، ولله الحمد.

تفسير سورة المرسلات

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ
﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ
ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

[١-٦] أقسم تعالىٰ علىٰ البعث والجزاء علىٰ الأعمال، بالمرسلات ﴿عُرۡفٗا﴾: وهي الملائكة التي يُرسلُها الله تعالىٰ بشئونه القدرية وتدبير العالم، وبشئونه الشرعية ووحيه إلىٰ

رسله، و﴿عُرۡفٗا﴾: حال من المرسلات؛ أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث. ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾: وهي أيضًا الملائكة التي يرسلها الله تعالىٰ، وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: يحتمل أن المراد بها الملائكة؛ تنشر ما دبرت علىٰ نشره، أو أنها السحاب التي ينشر الله بها الأرض، فيحييها بعد موتها. ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: هي الملائكه تلقي أشرف الأوامر، وهو الذكر الذي يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلىٰ الرسل. ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾؛ أي: إعذارًا وإنذارًا للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف وتقطع أعذارهم، فلا يكون لهم حجة علىٰ الله.

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من البعث والجزاء علىٰ الأعمال ﴿لَوَٰقِعٞ﴾؛ أي: مُتحتم وقوعه، من غير شك ولا ارتياب.

[٨-١٤] فإذا وقع؛ حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يُزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم؛ أي: تتناثر وتزول عن أماكنها وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي والأرض قاعًا صفصفًا، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا، وذلك اليوم هو اليوم الذي ﴿أُقِّتَتۡ﴾ فيه الرسل، وأُجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾: استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل، ثم أجاب بقوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾؛ أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردًا.

[١٥] ثم توعد المكذب بهذا اليوم فقال: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: يا حسرتهم، وشدة عذابهم، وسوء منقلبهم، أخبرهم الله، وأقسم لهم، فلم يصدقوه، استحقوا العقوبة البليغة.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٦-١٩] أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين، وهذه سُنَّته السابقة واللاحقة في كل مُجرم لا بد من عقابه، فَلِمَ لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟! ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: بعدما شاهدوا من الآيات البينات، والعقوبات والمَثُلات.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٠-٢٤] أي: أما خلقناكم أيها الآدميون ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾؛ أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب والترائب، حتىٰ جعله الله ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾: وهو الرحم، به يستقر وينمو.

الجزء التاسع والعشرون — سورة المرسلات

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ
كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي
ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

٥٨١

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾: ووقت مقدر. ﴿فَقَدَرۡنَا﴾؛ أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطفة إلىٰ العلقة، إلىٰ المضغة، إلىٰ أن جعله الله جسدًا، و نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل ذلك. ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾؛ يعني بذلك نفسه المقدسة، لأن قدره تابع لحكمته، موافق للحمد. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، [بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبينات].

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٥-٢٨] أي: أمَا منَّا عليكم وأنعمنا بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها ﴿كِفَاتًا﴾: لكم. ﴿أَحۡيَآءٗ﴾: في الدور، ﴿وَأَمۡوَٰتٗا﴾: في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله علىٰ عباده ومنته، فكذلك القبور رحمة في حقهم، وسترٌ لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها. ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ترسي الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات أي: الطوال العراض، ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾؛ أي: عذبًا زلالًا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: مع ما أراهم الله من

النعم التي انفرد بها، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾.

[٢٩-٣٤] هذا من الويل الذي أُعد للمجرمين المكذبين أن يُقال لهم يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: ثم فسر ذلك بقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾؛ أي: إلىٰ ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب؛ أي: قطع من النار تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به. ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾: ذلك الظل أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾: من مكث فيه ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾: بل اللهب قد أحاط به، يَمنة ويَسرة ومن كل جانب، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾، ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثم ذكر عِظم شرر النار، الدال علىٰ عظمها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾: وهي السود التي تضرب إلىٰ لون فيه صفرة، وهذا يدل علىٰ أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المنظر، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها ومن الأعمال المُقربة منها ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾.

[٣٥-٣٧] أي: هذا اليوم العظيم الشديد علىٰ المُكذبين، لا ينطقون فيه من الخوف والوجل الشديد، ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾؛ أي: لا تُقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾.

[٣٨-٤٠] ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾: لنفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ﴾؛ تقدرون علىٰ الخروج من ملكي وتنجون به من عذابي، ﴿فَكِيدُونِ﴾؛ أي: ليس لكم قدرة ولا سلطان، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾؛ ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥﴾.

[٤١-٤٥] لما ذكر عقوبة المكذبين، ذكر مثوبة المحسنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات.

﴿فِي ظِلَٰلٖ﴾: من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهرة البهية. ﴿وَعُيُونٖ﴾: جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما، ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾؛ أي: من خيار الفواكه وأطيبها، ويقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾: من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾؛ أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتىٰ يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتىٰ يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلىٰ جنات النعيم المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلىٰ عباد الله، ولهذا قال: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفىٰ به حزنًا وحرمانًا.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾.

[٤٦-٥٠] هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في الدنيا وشربوا وتمتعوا باللذات وغفلوا عن القُربات؛ فإنهم مُجرمون يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقىٰ عليهم التَّبِعات، ومن إجرامهم أنهم إذا أُمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، و﴿قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ﴾: امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد علىٰ هذا؟!

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: ومن الويل عليهم أنهم تنسد عنهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن، الذي هو أعلىٰ مراتب الصدق واليقين علىٰ الإطلاق.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾: أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شُبهة فضلًا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟ فليس بعد النور المبين إلا دياجي الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين القاطعة علىٰ صدقه إلا الإفك الصُّراح والكذب المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه. فتبًّا لهم ما أعماهم! وويحًا لهم ما أخسرهم وأشقاهم!

نسأل الله العفو والعافية؛ إنه جواد كريم.

تمت.

تفسير سورة عم
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾.

[١-٥] أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ ثم بيَّن ما يتساءلون عنه فقال: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم علىٰ وجه التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم.

ولهذا قال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾؛ أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾، ويُقال لهم: ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

ثم ذكر تعالىٰ النعم والأدلة الدالة علىٰ ما جاءت به الرسل فقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.

[٦-١٦] أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم ﴿الْأَرْضَ مِهَادًا﴾؛ أي: ممهدة مذلَّلة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمساكن والسبل.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: ذكورًا وإناثًا من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلىٰ الآخر، فتكون المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان بلذة المنكح.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لكم، وقطعًا لأشغالكم، التي متىٰ تمادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشىٰ الناس لتسكن حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾؛ أي: سبع سموات، في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفًا للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: نبه بالسراج علىٰ النعمة بنورها، الذي صار ضرورة للخلق، وبالوهاج - وهي حرارتها - علىٰ ما فيها من الإنضاج والمنافع.

الجزء الثلاثون | سورة النبإ

سُورَةُ النَّبَإِ | ترتيبها ٧٨ | آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
(٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ
مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

٥٨٢

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾؛ أي: السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾؛ أي: كثيرًا جدًّا.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾: من بر وشعير وذرة وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون.

﴿وَنَبَاتًا﴾: يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتًا لمواشيهم.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة.

فالذي أنعم [عليكم] بهذه النعم الجليلة، التي لا يُقدر قدرها، ولا يحصىٰ عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه علىٰ معاصيه وتجحدونها؟!

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

[١٧-٢٥] ذكر الله تعالىٰ ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل

عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ﴿مِيقَٰتًا﴾ للخلق، ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ فيأتون ﴿أَفْوَاجًا﴾: ويجري فيه من الزعازع والقلاقل ما يشيب له المولود، وتنزعج له القلوب، فتسير الجبال حتىٰ تكون كالهباء المبثوث، وتنشق السماء حتىٰ تكون أبوابًا، ويفصل الله بين الخلائق بحكمه الذي لا يجور، وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعدها للطاغين، وجعلها مثوىً لهم ومآبًا، وأنهم يلبثون فيها أحقابًا كثيرة و«الحقب» علىٰ ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة؛ فإذا وردوها ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾؛ أي: لا ما يبرد جلودهم ولا ما يدفع ظمأهم؛ ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: ماء حارًّا، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ﴿وَغَسَّاقًا﴾: وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق.

[٢٦-٣٠] وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم ووفاقًا علىٰ ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾؛ أي: كذبوا بها تكذيبًا واضحًا صريحًا وجاءتهم البينات فعاندوها.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: من قليل وكثير، وخير وشر ﴿أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾؛ أي: أثبتناه في اللوح المحفوظ، فلا يحسب المجرمون أنَّا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو يُنسىٰ منها مثقال ذرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿فَذُوقُوا۟﴾: أيها المكذبون هذا العذاب الأليم والخزي الدائم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: فكل وقت وحين يزداد عذابهم وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار، أجارنا الله منها.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

[٣١-٣٦] لما ذكر حال المجرمين ذكر مآل المتقين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عن معصيته؛ فلهم مفاز ومنجىً، وبعدٌ عن النار، وفي ذلك المفاز لهم ﴿حَدَآئِقَ﴾: وهي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية بالثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص العنب لشرفه وكثرته في تلك الحدائق، ولهم فيها زوجات علىٰ مطالب النفوس ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثُدِيُّهُنَّ من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن، والأَتْرَاب اللاتي علىٰ سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن مُتآلفات مُتعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، أعدل ما يكون من الشباب.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾؛ أي: مملوءة من رحيق، لذة للشاربين، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾؛ أي: كلامًا لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾؛ أي: إثمًا. كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

وإنما أعطاهم الله هذا الثواب الجزيل من فضله وإحسانه. ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾؛ أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها سببًا للوصول إلىٰ كرامته.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

[٣٧-٣٩] أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الذي خلقها ودبرها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتىٰ أدركوا ما أدركوا.

ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلّهم ساكتون ذلك اليوم لا يتكلمون و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابًا؛ لأن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ﴾ [هو] ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب، وفي ذلك اليوم ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أيضًا يقوم الجميع ﴿صَفًّا﴾: خاضعين لله ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: إلا بإذنه. فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر، قال: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: عملًا، وقَدَمَ صِدْقٍ يرجع إليه يوم القيامة.

[٤٠] ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: لأنه قد أزف مقبلًا، وكل ما هو آت [فهو] قريب.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي: هذا الذي يهمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدار ما قدم لدار القرار، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الآيات؛ فإن وجد خيرًا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم. نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشر كله، إنه جواد كريم.

تمت.

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ
(٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾.

[١-٥] هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذه، يحتمل أن المقسَم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن المقسم عليه والمقسم به متحدان، وأنه أقسم على الملائكة؛ لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها حتى تخرج الروح، فتُجازى بعملها. ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: وهي الملائكة أيضًا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النشط يكون لأرواح المؤمنين، [والنزع] لأرواح الكفار. ﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾؛ أي: المترددات في الهواء صعودًا ونزولًا، ﴿سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ﴾: لغيرها ﴿سَبْقًا﴾: فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله لئلا تسترقه، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾؛ [أي]: الملائكة، الذين جعلهم الله يدبرون كثيرًا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، [والأشجار]، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك.

[٦-٩] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: وهي قيام الساعة، ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾؛ أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتأتي تِلْوَها، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾؛ أي: مُنزعجة من شدة ما ترى وتسمع. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة.

[١٠-١٤] ﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾؛ أي: بالية فتاتًا. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظامًا نخرة، جهلًا منهم بقدرة الله، وتجريًا عليه، قال الله في


الجزء الثلاثون — سورة النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

سورة النازعات — ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا
(٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
(٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا
خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)

٥٨٣

بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: ينفخ في الصور، فإذا الخلائق كلهم ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)
اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ
فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢)
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥)
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ (٢٦)﴾.

[١٥-٢٥] يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾؟ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه؛ أي: هل أتاك حديثه ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، وابتعثه بالوحي واجتباه فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾؛ أي: فانهه عن طغيانه وشركه وعصيانه، بقول لين وخطاب لطيف، لعله ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾. ﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب؟ وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: أدلك عليه، وأبين لك مواقع

الجزء الثلاثون — سورة النازعات

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

ترتيبها ٨٠ — سُورَةُ عَبَسَ — آياتها ٤٢

٥٨٤

رضاه، من مواقع سخطه. ﴿فَتَخْشَىٰ﴾: الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسىٰ. ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؛ أي: جنس الآية الكبرىٰ، فلا ينافي تعددها ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبَ﴾: بالحق ﴿وَعَصَىٰ﴾: الأمر، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، ﴿فَحَشَرَ﴾: جنوده؛ أي: جمعهم ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ﴾: لهم: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: جعل الله عقوبته دليلًا وزاجرًا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: فإن من يخشىٰ الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأىٰ عقوبة فرعون، عرف أن [كل] من تكبر وعصىٰ، وبارز الملك الأعلىٰ؛ يُعاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه؛ فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

[٢٧-٣٣] يقول تعالىٰ مبينًا دليلًا واضحًا لمنكري البعث ومستبعدي إعادة الله للأجساد: ﴿ءَأَنتُمْ﴾: أيها البشر ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾: ذات الجِرْم العظيم، والخَلْق القوي، والارتفاع الباهر ﴿بَنَىٰهَا﴾: الله. ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾؛ أي: جِرْمها وصورتها، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾؛ أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتىٰ بالشمس، فانتشر الناس في مصالح دينهم ودنياهم.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾؛ أي: أودع فيها منافعها.

وفسر ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾؛ أي: ثبتها بالأرض. فدحا الأرض بعد خلق السموات؛ كما هو نص هذه الآيات الكريمة. وأما خلق نفس الأرض؛ فمتقدم علىٰ خلق السماء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾: فالذي خلق السموات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام والأرض الغبراء الكثيفة، وما فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم بأعمالهم، فمن أحسن فله الحسنىٰ ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا ذكر بعد هذا قيام الساعة ثم الجزاء، فقال:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

[٣٤-٣٦] أي: إذا جاءت القيامة الكبرىٰ، والشدة العظمىٰ، التي يهون عندها كل شدة، فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه وكل محب عن حبيبه. و﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: في الدنيا، من خير وشر، فيتمنىٰ زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمه ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته، ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سعاه في الدنيا، وينقطع كل سبب وَوُصْلَة كانت في الدنيا سوىٰ الأعمال. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: جعلت في البَراز، ظاهرة لكل أحد، قد هُيِّئت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها.

[٣٧-٣٩] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ أي: جاوز الحد، بأن تجرأ علىٰ المعاصي الكبار، ولم يقتصر علىٰ ما حده الله. ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: علىٰ الآخرة فصار سعيه لها، ووقته مستغرقا في

حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة والعمل لها. ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: له؛ أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله.

[٤٠-٤١] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر هذا الخوف في قلبه فنهىٰ ﴿ٱلنَّفْسَ عَنِ﴾ هواها الذي يصدها عن طاعة الله، وصار هواه تبعًا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوىٰ والشهوة الصادين عن الخير، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ﴾: المشتملة علىٰ كل خير وسرور ونعيم ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: لمن هذا وصفه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٢-٤٤] أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: متىٰ وقوعها؟ و﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟! فأجابهم الله بقوله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؟ أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في إخفائه عليهم، طوىٰ علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

[٤٥-٤٦] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾؛ أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشىٰ مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يدي الله، فهم الذين لا يهمهم إلا الاستعداد لها والعمل لأجلها، وأما من لم يؤمن بها؛ فلا يبالي به ولا بتعنته، لأنه تعنتٌ مبني علىٰ التكذيب والعناد، وإذا وصل إلىٰ هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثًا، ينزه أحكم الحاكمين عنه.

تمت، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا
عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ
﴿١٠﴾﴾.

الجزء الثلاثون — سورة عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

٥٨٥

سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه جاء رجل من المؤمنين أعمىٰ[(١)] يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه، وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصًا علىٰ هداية الخلق، فمال ﷺ وأصغىٰ إلىٰ الغني، وصد عن الأعمىٰ الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعًا في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال:

[١-١٠] ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: في وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: في بدنه، لأجل مجيء الأعمىٰ له، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ﴾؛ أي: الأعمىٰ ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾؛ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾؛ أي: يتذكر ما ينفعه، فينتفع بتلك الذكرىٰ.

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك علىٰ من جاء بنفسه مفتقرًا لذلك مُقبلًا، هو الأليق الواجب.

وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك مَن أهم منه، فإنه لا ينبغي لك؛ فإنه ليس عليك ألا يزكىٰ، فلو لم يتزك؛ فلست بمحاسب علىٰ ما عمله من الشر.

---

(١) انظر ما أخرجه الترمذي (٣٣٣١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فدل هذا على القاعدة المشهورة؛ أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة» وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾.

[١١-١٦] يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: أي: حقًّا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي؛ فإذا تبين ذلك ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ﴾: القدر والرتبة ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: من الآفات وعن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها، بل هي ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: وهم الملائكة الذين هم سفراء بين الله وبين عباده، ﴿كِرَامٍۭ﴾؛ أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرَرَةٍ﴾: قلوبهم وأعمالهم.

وذلك كله حفظ من الله لكتابه؛ أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلًا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول.

[١٧-٢٣] ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورًا، ولهذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: لنعمة الله وما أشد معاندته للحق بعدما تبين، وهو ما هو؟! هو من أضعف الأشياء، خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشرًا سويًّا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾؛ أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، وبينه وامتحنه بالأمر والنهي، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾؛ أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، وهو مع هذا لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصرًا تحت الطلب.

[٢٤-٣٢] ثم أرشده الله إلى النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره [الله] له فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾؛ أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ للنبات ﴿شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: أصنافًا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية ﴿حَبًّا﴾: وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: وهو القتُّ، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾: وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها. ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾؛ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك، والأبُّ: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكر ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾.

[٣٣-٤٢] أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تُصَخُّ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال، ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ من أعز الناس إليه، وأشفقهم عليه، ﴿مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾؛ أي: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾.

وذلك لأنه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: قد أشغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء.

فأما السعداء؛ فوجوههم ﴿يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾؛ أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، مما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ﴾: الأشقياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا﴾؛ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الذين بهذا الوصف ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾؛ أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه.

نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

[١-١٤] أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق، وعلم كلٌّ ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾؛ أي: تغيرت، وتناثرت من أفلاكها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾؛ أي: صارت كثيبًا مهيلًا، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثًا، وأزيلت عن أماكنها. ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾؛ أي: عطل الناس يومئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، علىٰ ما هو في معناها من كل نفيس.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرىٰ العباد كمال عدله، حتىٰ إنه يقتص للشاة الجمَّاء من الشاة القرناء ثم يُقال لها: كوني ترابًا(١)، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أوقدت فصارت -علىٰ عظمها- نارًا تتوقد. ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوِّج المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾: وهي التي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها. ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: المشتملة علىٰ ما عمله العاملون من خير وشر ﴿نُشِرَتْ﴾: وفرقت علىٰ أهلها، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.


الجزء الثلاثون — سورة التكوير

سُورَةُ التَّكْوِيرِ — ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩

سُورَةُ الانْفِطَارِ — ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

٥٨٦

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾؛ أي: أزيلت، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾؛ أي: أوقد عليها فاستعرت، والتهبت التهابًا لم يكن لها قبل ذلك. ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ أي: قُرِّبت للمتقين، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾؛ أي: كل نفس، لإتيانها في سياق الشرط. ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدمتها كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾.

وهذه الأوصاف التي وصف [الله] بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأيُ عين، فليتدبر سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٠)، وقال العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٦): إسناده جيد.

﴿٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾.

[١٥-١٦] أقسم تعالىٰ: ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: وهي الكواكب التي تخنس؛ أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلىٰ جهة المشرق، وهي النجوم السبعة السيارة: «الشمس»، و«القمر»، و«الزهرة»، و«المشتري»، و«المريخ»، و«زُحل»، و«عطارد»، فهذه السبعة لها سيران: سير إلىٰ جهة المغرب مع باقي الكواكب والفلك، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها؛ فأقسم الله بها في حال خنوسها؛ أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها؛ أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع الكواكب السيارة وغيرها.

[١٧-١٨] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾؛ أي: أقبل وقيل: أدبر، والنهار ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: بدت علائم الصبح، وانشق النور شيئًا فشيئًا حتىٰ يستكمل وتطلع الشمس.

[١٩] وهذه آيات عظام، أقسم الله عليها لقوة سند القرآن وجلالته، وحفظه من كل شيطان رجيم فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: وهو: جبريل ﷺ نزل به من الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾. ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، و[كثرة] خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه.

[٢٠] ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: علىٰ ما أمره الله به، ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم. ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخَصِيصَةٌ من الله اختصه بها، ﴿مَكِينٍ﴾؛ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

[٢١] ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾؛ أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلىٰ، لأنه من الملائكة المقربين، نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه. ﴿أَمِينٍ﴾؛ أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدىٰ ما حد له، وهذا كله يدل علىٰ شرف القرآن عند الله تعالىٰ، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل.

[٢٢] ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: وهو محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾؛ كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته، المتقوِّلون عليه [من] الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به بل هو أكمل الناس عقلًا، وأجزلهم رأيًا، وأصدقهم لهجة.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: رأىٰ محمد ﷺ جبريل ﷺ(١) بالأفق البين، الذي هو أعلىٰ ما يلوح للبصر.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾؛ أي: وما هو علىٰ ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يَشِحَّ بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا ذكر ولا أنثىٰ، ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت ﷺ حتىٰ كانوا علماء ربانيين، وأحبارًا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهىٰ في استخراج الدقائق والمفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: لما ذكر جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلىٰ الناس علىٰ أيديهما، وأثنىٰ الله عليهما بما أثنىٰ، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: كيف يخطر هذا ببالكم؟! وأين عزبت عنكم أذهانكم؟ حتىٰ جعلتم الحق الذي هو في أعلىٰ درجات الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟! هل هذا إلا من انقلاب الحقائق؟!

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والرذائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين.

[٢٨] ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: بعدما تبين الرشد من الغي، والهدىٰ من الضلال.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها رد علىٰ فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة؛ كما تقدم مثالها، والله أعلم والحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم؛ (١٧٧).

تفسير سورة الانفطار
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾.

[١-٥] أي: إذا انشقت السماء وانفطرت، وتناثرت نجومها، وزال جمالها، وفجرت البحار فصارت بحرًا واحدًا، وبعثرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال؛ فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيًّا، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يَعَضُّ الظالم على يديه إذا رأى ما قدمت يداه وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي.

وهنالك يفوز المتقون المقدِّمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾.

[٦-٨] يقول تعالى مُعاتبًا للإنسان المقصِّر في حقه، المتجرئ على معاصيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾: أتهاونًا منك في حقوقه؟ أم احتقارًا منك لعذابه؟! أم عدم إيمان منك بجزائه؟! أليس هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾: في أحسن تقويم؟ ﴿فَعَدَلَكَ﴾: وركبك تركيبًا قويمًا معتدلًا، في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟!

إنْ هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله إذ لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

[٩-١٢] وقوله: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾؛ أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كرامًا يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمونها، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾.


الجزء الثلاثون — سورة الانفطار — سورة المطففين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦

٥٨٧

[١٣-١٩] المراد بالأبرار هم: القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح؛ فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار. ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾: الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾؛ أي: عذاب أليم، في دار الدنيا و دار البرزخ وفي دار القرار، ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: ويعذبون بها أشد العذاب ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء على الأعمال. ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: في هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾: ولو كانت لها قريبة أو حبيبة مصافية، فكل مشتغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها. ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾: فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه، والله أعلم.

الجزء الثلاثون — سورة المطففين

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ
مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ
عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ
١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ
٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي
وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ
يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١
وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ
حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤

٥٨٨

تفسير سورة المطففين

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾.

[١-٦] ﴿وَيۡلٞ﴾: كلمة عذاب وعقاب ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾: وفسر الله المطففين بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أخذوا منهم وفاءً لهم عما قِبَلهم، يستوفونه كاملًا من غير نقص. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾؛ أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي لهم عليهم بكيل أو وزن، ﴿يُخۡسِرُونَ﴾؛ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو بغير ذلك؛ فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم.

وإذا كان هذا وعيدًا على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهرًا أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين.

ودلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب [عليه] أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات؛ فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج؛ فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرَف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير.

ثم توعد تعالى المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم سيقومون بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾.

[٧-٩] يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾: وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة، والمنافقين، والفاسقين ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾: ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل الضيق الضنك، و «سجين» ضد «عليين» الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي، وقد قيل: إن «سجين» هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم.

[١٠-١٣] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾. ثم بيَّنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾: على محارم الله، متعد من الحلال إلى الحرام. ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه على التكذيب، ويوجب له كبره ردَّ الحق، ولهذا ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ آيات الله الدالة على الحق، وعلى صدق ما جاءت به الرسل، كذبها وعاندها، و﴿قَالَ﴾: هذه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: من تُرَّهات المتقدمين، وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبرًا وعنادًا.

[١٤-١٧] وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذِّب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين [الساطعة]، ما يجعله حقَّ اليقين، وصار لبصائرهم

بمنزلة الشمس للأبصار، بخلاف من ران على قلبه كسبُهُ، وغطَّته معاصِيه؛ فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جوزي على ذلك بأن حجب عن الله، كما حجب قلبه [في الدنيا] عن آيات الله. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾: مع هذه العقوبة البليغة ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ﴾: لهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ واللوم، وعذاب الحجاب عن رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار.

ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله.

وفي هذه الآيات التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئًا فشيئًا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقًّا، والحق باطلًا، وهذا من أعظم عقوبات الذنوب.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ٢٧ [عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨]﴾.

[١٨-٢١] لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأن كتابهم المرقوم ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، وينوه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و﴿عِلِّيُّونَ﴾: اسم لأعلى الجنة.

[٢٢-٢٨] فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾؛ أي: على السرر المزينة بالفرش الحسان. ﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، ﴿تَعْرِفُ﴾: أيها الناظر ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾؛ أي: بهاءه ونضارته ورونقه؛ فإن توالي اللذات والمسرَّات والأفراح يُكسب الوجه نورًا وحُسنًا وبهجة. ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ذلك الشراب ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك الختام، الذي ختم به مسك. ويحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾: النعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾؛ أي: فليتسابقوا في المبادرة إليه والأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال. ومزاج هذا الشراب ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾: وهي عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾: صِرفًا، وهي أعلى أشربة الجنة على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة لأصحاب اليمين؛ أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾.

[٢٩-٣٣] لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وجزاء المحسنين، وذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزئون بهم، و﴿يَضْحَكُونَ﴾: منهم، فـ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: بهم عند مرورهم عليهم، احتقارًا لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ﴾: صباحًا أو مساء ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾؛ أي: مسرورين مغتبطين، وهذا من أشد ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة مع الأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب وعهد من الله، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤوا على القول عليه بلا علم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾؛ أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان.

[٣٤-٣٦] ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾: حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: وهي السُّرر المزينة، ﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: هل جُوزُوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، حين رأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال. نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلًا من الله وحكمة، والله عليم حكيم.

الجزء الثلاثون | سورة الانشقاق

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ ٨٤ – آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

٥٨٩

تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ
وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ
مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

[١-٢] يقول تعالىٰ مبينًا لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾؛ أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاخت لخطابه، أي: حق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصىٰ أمره، ولا يخالف حكمه.

[٣-٥] ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؛ أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودُكَّ ما عليها من بناء ومَعْلَم، فسويت، ومدها الله مد الأديم، حتىٰ صارت واسعة جدًّا، تسع أهل الموقف علىٰ كثرتهم، فتصير قاعًا صفصفًا لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: من الأموات والكنوز، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: منهم؛ فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلىٰ وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتىٰ تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون علىٰ ما هم فيه يتنافسون، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

[٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾؛ أي: إنك ساع إلىٰ الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاءً بالفضل أو العدل، بالفضل إن كنت سعيدًا، وبالعقوبة إن كنت شقيًّا.

[٧-٩] ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: وهم أهل السعادة. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: وهو العرض اليسير علىٰ الله، فيقرره الله بذنوبه، حتىٰ إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالىٰ له: «**إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أسترها لك اليوم**»[1]. ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾: لأنه قد نجا من العذاب وفاز بالثواب.

[١٠-١٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: بشماله من وراء ظهره. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾: من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾؛ أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويُقلَّب علىٰ عذابها، وذلك لأنه ﴿كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: لا يخطر البعث علىٰ باله، وقد أساء، ولا يظن أنه راجع إلىٰ ربه وموقوف بين يديه. ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: فلا يحسن أن يتركه سدىً، لا يؤمر ولا ينهىٰ، ولا يثاب ولا يعاقب.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ
﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[١٦-١٩] أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل. ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: احتوىٰ عليه من حيوانات وغيرها. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾؛ أي: أيها الناس ﴿طَبَقًا﴾ عن ﴿طَبَقٍ﴾؛ أي: أطوارًا متعددة وأحوالًا متباينة، من

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٣)، ومسلم (٢٧٦٨).

النطفة إلىٰ العلقة، إلىٰ المضغة، إلىٰ نفخ الروح، ثم يكون وليدًا وطفلًا، ومميزًا، ثم يجري عليه قَلَمُ التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازىٰ بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية علىٰ العبد دالة علىٰ أن الله وحده هو المعبود، الموحَّد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم.

[٢٠-٢٤] ومع هذا؛ فكثير من الناس لا يؤمنون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وانقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادًا، لا حيلة فيه، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؛ أي: بما يعملونه وينوونه سرًّا، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيُجازيهم بأعمالهم؛ ولهذا قال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: وسميت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البَشَرة سرورًا أو غمًّا.

[٢٥] فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به، ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل فـ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فهؤلاء ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾؛ أي: غير مقطوع بل هو أجر دائم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، والحمد لله.

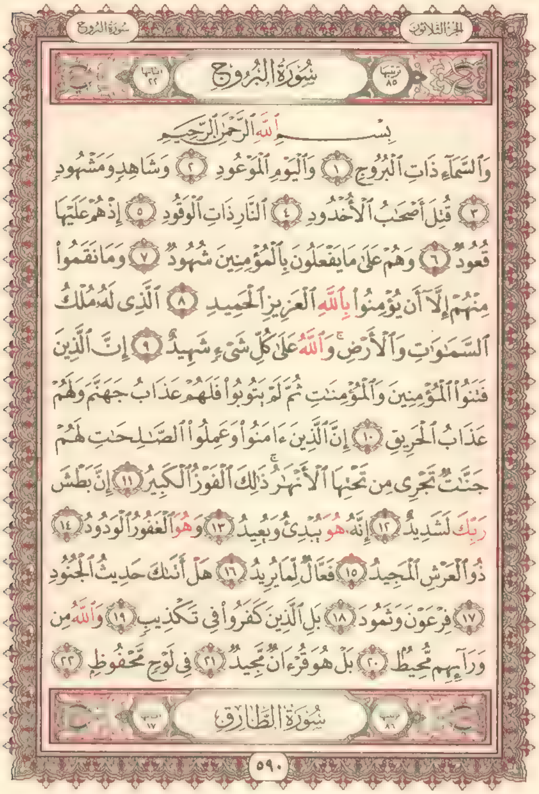
تفسير سورة البروج

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾.

[١-٣] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾؛ أي: ذات المنازل المشتملة علىٰ منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، علىٰ أكمل ترتيب ونظام دال علىٰ كمال قدرة الله [تعالىٰ] ورحمته، وسعة علمه وحكمته.


الجزء الثلاثون — سورة البروج

سُورَةُ ٱلْبُرُوجِ ٨٥ — ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢

سُورَةُ ٱلطَّارِقِ ٨٦ — ١٧

٥٩٠

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولَهم وآخرَهم، وقاصِيَهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف؛ أي: مبصِر ومبصَر، وحاضر ومحضور، وراءٍ ومرئي، والمقسم عليه ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة. وقيل: إن المقسم عليه قوله:

[٤-٩] ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: وهذا دعاء عليهم بالهلاك. و﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾: الحفر التي تحفر في الأرض. وكان أصحاب الأخدود(١) هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم علىٰ الدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودًا في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر علىٰ الإيمان قذفوه في النار، وهذا غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ

(١) قصة أصحاب الأخدود أخرجها مسلم (٣٠٠٥).

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٦﴾: وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها. والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا حالة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾، أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأفعاله وأوصافه.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خلقًا وعبيدًا، يتصرف فيهم بما يشاء. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: علمًا وسمعًا وبصرًا؛ أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أَوَمَا علموا كلهم أنهم مماليك لله، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟! أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مُجازيهم عليها؟! كلا إن الكافر في غرور، والجاهل في عمًى وضلال عن سواء السبيل.

[١٠] ثم أوعدهم ووعدهم وعرض عليهم التوبة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: العذاب الشديد المحرق. قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة».

[١١] ولما ذكر عقوبة الظالمين؛ ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: بقلوبهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بجوارحهم ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾: الذي حصل لهم الفوز برضا الله ودار كرامته.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام، لقوية شديدة، وهو للظالمين بالمرصاد، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا يشاركه في ذلك مشارك.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب. ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء، فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم تكن غيرها تبعًا لها؛ كانت عذابًا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: والمودة هي المحبة الصافية.

وفي هذا سر لطيف، حيث قرن الودودَ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلته، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها[1]، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر؛ فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه!

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾؛ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السموات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض[2]، وخص الله العرش بالذكر لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه [تعالى]، وهذا على قراءة الجر، يكون المجيد نعتًا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإنه يكون نعتًا لله، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها.

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، وليس أحد فعالًا لما يريد إلا الله؛ فإن المخلوقات ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

[١٧-١٨] ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

[١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: أي: قد أحاط بهم علمًا وقدرة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾؛ ففيه الوعيد الشديد للكافرين، مِن عقوبة مَن هم في قبضته، وتحت تدبيره.

[٢١-٢٢] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم. ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾: من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسيرها.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٢) انظر ما أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٨)، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٠٩).

تفسير سورة الطارق

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا
عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ
ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ
۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ
۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾.

[١-٤] يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: ثم فسر الطارق بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾؛ أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السموات، فينفذ حتىٰ يُرىٰ في الأرض، والصحيح أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب. وقد قيل: إنه «زحل» الذي يخرق السموات السبع وينفذها فيرىٰ منها. وسمي طارقًا، لأنه يطرق ليلًا.

والمقسم عليه قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾: يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازىٰ بعملها المحفوظ عليها.

[٥-٧] ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أي: فليتدبر خلقته ومبدأه، فإنه مخلوق ﴿مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾: وهو: المني الذي ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها، ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولىٰ، فإنه إنما وصف به الماء الدافق، الذي يُحَسُّ به ويشاهد دفقه، وهو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب فإنها تستعمل للرجل فإن الترائب للرجل بمنزلة الثديين للأنثىٰ، فلو أريدت الأنثىٰ لقيل: «من الصلب والثديين» ونحو ذلك، والله أعلم.

[٨-١٠] فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر علىٰ رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث والنشور والجزاء، وقد قيل: إن معناه أن الله علىٰ رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا وإن كان المعنىٰ صحيحًا - فليس هو المراد من الآية، ولهذا قال بعده: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؛ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر علىٰ صفحات الوجوه قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾؛ ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأشياء، ولا يظهر عيانًا للناس، وأما يوم القيامة، فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية. وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾؛ أي: من نفسه يدفع بها ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾: من خارج ينتصر به، فهذا القسم علىٰ حالة العاملين وقت عملهم وعند جزائهم.

الجزء الثلاثون — سورة الطارق — سورة الأعلى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ
نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ
دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨
يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١
وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ
يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ سَنُقۡرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ
لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥

٥٩١

[١١-١٤] ثم أقسم قسمًا ثانيًا علىٰ صحة القرآن، فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾؛ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار والشئون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات، ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾؛ أي: حق وصدق بين واضح، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾؛ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقالات، وتنفصل به الخصومات.

[١٥-١٧] ﴿إِنَّهُمۡ﴾؛ أي: المكذبين للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾: ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل، ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾: لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاءوا به من الباطل، ويعلم بهذا مَن الغالب؛ فإن الآدمي أضعف وأحقر من أن يغالب القوي العليم في كيده. ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾؛ أي: قليلًا، فسيعلمون عاقبة أمرهم حين ينزل بهم العقاب.

تم تفسيرها، والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة سبح

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾.

[١-٣] يأمر تعالىٰ بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحًا يليق بعظمة الله تعالىٰ، بأن تذكر أسماؤه الحسنىٰ العالية علىٰ كل اسم بمعناها العظيم الجليل، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسوَّاها؛ أي: أتقنها وأحسن خلقها. ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾: تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات ﴿فَهَدَىٰ﴾: إلىٰ ذلك جميع المخلوقات.

وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدىٰ كل مخلوق لمصلحته.

[٤-٥] وتُذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾؛ أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أصناف النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وجميع الحيوانات، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوىٰ نباته، وصوَّح عشبه، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾؛ أي: أسود، أي: جعله هشيمًا رميمًا.

[٦-٧] ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومادتها، وهو القرآن، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي: سنحفظ ما أوحيناه إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسىٰ منه شيئًا، وهذه بشارة من الله كبيرة لعبده ورسوله محمد ﷺ أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: مما اقتضت حكمته أن يُنسِيكَه لمصلحة وحكمة بالغة. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد.

[٨] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: وهذه أيضًا بشارة أخرىٰ، أن الله ييسر رسوله ﷺ لليسرىٰ في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسيرًا.

[٩-١٣] ﴿فَذَكِّرْ﴾: بشرع الله وآياته ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: ما دامت الذكرىٰ مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرىٰ جميع المقصود أو بعضه، ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرىٰ، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن مأمورًا بها، بل منهيًّا عنها، فالذكرىٰ ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين. فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: الله، فإن خشية الله تعالىٰ، والعلم بمجازاته علىٰ الأعمال، توجب للعبد الانكفاف عما يكرهه الله والسعي في الخيرات، وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: وهي النار الموقدة، التي تطلع علىٰ الأفئدة، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾؛ أي: يعذب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتىٰ إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾.

[١٤-١٥] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق. ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، هذا معنىٰ الآية [الكريمة]، وأما من فسر قوله ﴿تَزَكَّىٰ﴾؛ يعني: أخرج زكاة الفطر، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ أنه صلاة العيد؛ فإنه وإن كان داخلًا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنىٰ وحده.

[١٦-١٧] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: تقدمونها علىٰ الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل علىٰ الآخرة. ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ لكونها دار خلد وبقاء [وصفاء] والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ علىٰ الأجود، ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها علىٰ الآخرة رأس كل خطيئة.

[١٨-١٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: اللذين هما أشرف المرسلين بعد محمد - صلىٰ الله عليه وعليهم أجمعين -. فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلىٰ مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تمت، ولله الحمد.

تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن
ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا
رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا
سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ
۝١٦﴾.

[١] يذكر تعالىٰ أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشىٰ الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميَّزون إلىٰ فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فأخبر عن وصف كلا الفريقين:

[٢-٧] فقال في وصف أهل النار: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾: من الذل، والفضيحة والخزي. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، أي: تاعبة في العذاب، تجر علىٰ وجوهها، وتغشىٰ وجوههم النار. ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾؛ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباءً منثورًا.

وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنىٰ، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان ذكر أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل بالنسبة إلىٰ أهل النار؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غَشَيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾؛ أي: شديدًا حرها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾؛ أي: شديدة الحرارة ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾؛ فهذا شرابهم. وأما طعامهم فـ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾: وذلك لأن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهُزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة؛ نسأل الله العافية.

الجزء الثلاثون | سورة الغاشية

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ
هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩

سُورَةُ الغَاشِيَةِ — ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦

٥٩٢

[٨-١٦] وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضَّرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسُرُّوا غاية السرور. ﴿لِّسَعْيِهَا﴾: الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلىٰ عباد الله، ﴿رَاضِيَةٌ﴾: إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها ﴿فِى جَنَّةٍ﴾: جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٍ﴾: في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلىٰ عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها علىٰ ما أعد الله لهم من الكرامة. (﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها علىٰ أي حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة). ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾؛ أي: الجنة ﴿لَـٰغِيَةً﴾؛ أي: كلمة لغو وباطل، فضلًا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل علىٰ ذكر الله، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلىٰ الآداب الحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنىٰ أرادوا.


الجزء الثلاثون — سورة الفجر

سُورَةُ الفَجْرِ — مكيتها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

٥٩٣

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: و«السرر» جمع «سرير» وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾؛ أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾؛ أي: وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، أو يصفوها بأنفسهم. ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: والزرابي هي: البُسُط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

[١٧-٢٠] يقول تعالى حثًّا للذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؛ أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها. ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: بهيئة باهرة، حصل بها الاستقرار للأرض وثباتها من الاضطراب، وأودع [الله] فيها من المنافع الجليلة ما أودع. ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي: مدت مدًّا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر العباد على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك طرقها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًّا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو كبير جدًّا واسع، فيكون كرويًّا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

[٢١-٢٢] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث عليهم مسيطرًا عليهم، مسلطًا موكلًا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك؛ فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

[٢٣-٢٤] وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾؛ أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾؛ أي: الشديد الدائم.

[٢٥-٢٦] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: رجوع الخلائق وجمعهم في يوم القيامة. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: على ما عملوا من خير وشر. والحمد لله [رب العالمين].

تفسير سورة الفجر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾.

[١-٥] الظاهر أن المقسم عليه هو المقسم به، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمرًا ظاهرًا مُهمًّا، وهو كذلك في هذا الموضع.

فأقسم تعالىٰ بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار من الآيات الدالة علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، وأنه تعالىٰ هو المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي علىٰ الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليالٍ مُشتملة علىٰ أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع بغيرها.

وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها صيام آخر رمضان الذي هو أحدِ أركان الإسلام العِظام.

وفي أيام عشر ذي الحجة الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فإنه ما رُئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة(1)، لما يرىٰ من تنزُّل الأملاك والرحمة من الله علىٰ عباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة أن يقسم الله بها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾؛ أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه علىٰ العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالىٰ وحكمة.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾؛ أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾.

[٦-١٤] يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: بقلبك وبصيرتك ﴿كَيۡفَ فَعَلَ﴾: بهذه الأمم الطاغية، عاد وهي ﴿إِرَمَ﴾: القبيلة المعروفة في اليمن، ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾؛ أي: القوة الشديدة، والعتو والتجبر.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾؛ أي: في جميع البلدان في القوة والشدة؛ كما قال لهم نبيهم هود ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ﴾؛ أي: وادي القرىٰ، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾؛ أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد [و] ما يُراد إمساكه بها.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: هذا الوصف عائد إلىٰ عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾: وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله.

فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذَنُوبًا وسوط عذاب؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾: لمن يعصيه، يُمهله قليلًا، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠﴾.

[١٥-٢٠] يُخبر تعالىٰ عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل علىٰ كرامته [عنده] وقربه منه، وأنه إذا ﴿قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾؛ أي: ضيقه، فصار بقَدَرِ قوتِهِ لا يفضُلُ عنه؛ أن هذا إهانة من الله له، فرد الله عليه هذا الحسبان فقال: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس كل من نعَّمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنىٰ والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرىٰ من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه علىٰ ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلىٰ العذاب الوبيل.

وأيضًا؛ فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله علىٰ عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾: الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلىٰ جبر خاطره والإحسان إليه.

فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل علىٰ عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾؛ أي: لا يحض بعضكم بعضًا علىٰ إطعام المحاويج من الفقراء والمساكين، وذلك لأجل الشح علىٰ الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا قال: ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾؛ أي: المال المخلف ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾؛ أي: ذريعًا، لا تبقون علىٰ شيء منه. ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾؛ أي: شديدًا، وهذا كقوله: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾، ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾.

(1) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٤٤)، وضعفه العلامة الألباني في «المشكاة» (٢٦٠٠).



يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠

سُورَةُ البَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢
فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠

سُورَةُ الشَّمۡسِ

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾.

[٢١-٢٤] ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بباق لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتىٰ تجعل قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمت.

ويجيء الله تعالىٰ لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، ويجيء الملائكة الكرام، أهل السموات كلهم ﴿صَفّٗا صَفّٗا﴾؛ أي: صفًّا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفًّا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار. ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾: تقودها الملائكة بالسلاسل. فإذا وقعت هذه الأمور؛ فـ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: ما قدمه من خير وشر.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: فقد فات أوانها، وذهب زمانها، ﴿يَقُولُ﴾: متحسرًا علىٰ ما فرط في جنب الله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾: الباقية الدائمة، عملًا صالحًا، كما قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾، وفي هذا دليل علىٰ أن الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها وفي تتميم لذاتها هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء.

[٢٥-٢٦] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾: لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾؛ فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون علىٰ وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين.

[٢٧-٣٠] وأما من آمن بالله واطمأن به وصدق رسله، فيقال له: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾: إلىٰ ذكر الله، الساكنة إلىٰ حبه، التي قرت عينها بالله. ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: الذي رباك بنعمته، [وأسدىٰ عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه]. ﴿رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾؛ أي: راضية عن الله، وعما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾: وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به وقت السياق والموت.

والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة لا أقسم

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾.

[١-٣] يقسم تعالىٰ ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ الأمين، وهو مكة المكرمة، أفضل البلدان علىٰ الإطلاق، خصوصًا وقت حلول الرسول ﷺ فيها، ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أي: آدم وذريته.

[٤-٧] والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾:

يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعىٰ في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد. ويحتمل أن المعنىٰ: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، يقدر علىٰ التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله علىٰ هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية وتجبر علىٰ خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: ويطغىٰ ويفتخر بما أنفق من الأموال علىٰ شهوات نفسه؛ فـ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ أي: كثيرًا، بعضه فوق بعض. وسمىٰ الله [تعالىٰ] الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود إليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير؛ فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق؛ قال الله متوعدًا هذا الذي افتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظن في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه علىٰ الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

[٨-١٠] ثم قرره بنعمه، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾: للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: طريقي الخير والشر؛ بينا له الهدىٰ من الضلال، والرشد من الغي. فهذه المنن الجزيلة تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكره علىٰ نعمه، وألا يستعين بها علىٰ معاصي الله.

[١١] ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك؛ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لهواه، وهذه العقبة شديدة عليه.

[١٢-١٦] ثم فسر هذه العقبة بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها علىٰ أداء كتابتها، ومن باب أولىٰ فكاك الأسير المسلم عند الكفار، ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾؛ أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، وفقيرًا ذا قرابة. ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: وعملوا الصالحات؛ أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم، فدخل في هذا كل قول وفعل واجب أو مستحب. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: علىٰ طاعة الله وعن معصيته، وعلىٰ أقداره المؤلمة، بأن يحث بعضهم بعضًا علىٰ الانقياد لذلك، والإتيان به كاملًا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم علىٰ المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

[١٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام [هذه] العقبة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نُهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

[١٩-٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله. أولئك ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها؛ لئلا تنفتح أبوابها، حتىٰ يكونوا في ضيق وهمٍّ وشدة.

والحمد لله.

تفسير والشمس وضحاها

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾.

[١-٦] أقسم تعالىٰ بهذه الآيات العظيمة، علىٰ النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾؛ أي: نورها، ونفعها الصادر منها. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: تبعها في المنازل والنور. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: جلىٰ ما علىٰ وجه الأرض وأوضحه، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾؛ أي: يغشىٰ وجه الأرض، فيكون ما عليها مُظلمًا؛ فتعاقُبُ الظلمة والضياء، والشمس والقمر، علىٰ هذا العالم بانتظام وإتقان وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل علىٰ أن الله بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه باطل.



﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾: يحتمل أن «ما» موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبانيها، وهو الله تعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان. ونحو هذا قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾؛ أي: مدها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها بجميع أوجه الانتفاع.

[٧-٨] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: يحتمل أن المراد: نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن الإقسام بنفس الإنسان المكلف؛ بدليل ما يأتي بعده، وعلى كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي يحق الإقسام بها، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على ما هي عليه آية من آيات الله العظيمة.

[٩-١٠] وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾؛ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾؛ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقةً بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها.

[١١-١٥] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾؛ أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق وعتوها على رسولهم، ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾؛ أي: أشقى القبيلة[1]، وهو «قُدَار بن سالف» لعقرها؛ حين اتفقوا على ذلك، وأمروه فائتمر لهم، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: صالح ﷺ محذرًا: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾؛ أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحًا، ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾؛ أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على رُكَبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيبًا. ﴿فَسَوَّاهَا﴾: عليهم؛ أي: سوى بينهم في العقوبة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛ أي: تبعتها.

وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟!

[تمت ولله الحمد].

تفسير سورة والليل

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾.

[١-٢] هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؛ أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾: للخلق، فاستضاءوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾: إن كانت «ما» موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة بكونه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية؛ كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٧)، ومسلم (٢٨٥٥).

حكمته في ذلك؛ أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد إبقاءها ذكرًا وأنثىٰ، ليبقىٰ النوع ولا يضمحل، وقاد كلًّا منهما إلىٰ الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلًّا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

[٤] وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: هذا هو المقسم عليه؛ أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتًا كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال؛ هل هو وجه الله الأعلىٰ الباقي؟ فيبقىٰ العمل له ببقائه، وينتفع به صاحبه؟ أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟ وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله [تعالىٰ] بهذا الوصف.

[٥-٧] ولهذا فصل الله العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾؛ أي: ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات والنفقات والكفارات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية كالصلاة، والصوم وغيرهما. والمركبة من ذلك، كالحج والعمرة ونحوهما ﴿وَاتَّقَىٰ﴾: ما نهي عنه من المحرمات والمعاصي، علىٰ اختلاف أجناسها، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: صدق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، من [جميع] العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء [الأخروي]، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: نيسر له أمره، ونجعله مُسهلًا عليه كل خير، ميسرًا له ترك كل شر؛ لأنه أتىٰ بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك.

[٨-١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾: بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾: عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلىٰ ربها، الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بما أوجب الله علىٰ العباد التصديق به من العقائد الحسنة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

[١١] ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾: الذي أطغاه واستغنىٰ به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح، وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب؛ فإنه يكون وبالًا عليه؛ إذ لم يقدم منه لآخرته شيئًا.

[١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾؛ أي: إن الهدىٰ المستقيم طريقه، يوصل إلىٰ الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرقه مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد.

[١٣] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾: ملكًا وتصرفًا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين.

[١٤-١٦] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: تستعر وتتوقد، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ﴾: بالخبر ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن الأمر.

[١٧-٢١] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾: بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والأدناس، قاصدًا به وجه الله تعالىٰ، فدل هذا علىٰ أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما؛ فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء؛ لأنه لا يتزكىٰ بفعل مستحب يفوت عليه الواجب، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾؛ أي: ليس لأحدٍ من الخلق علىٰ هذا الأتقىٰ نعمةٌ تُجزىٰ إلا وقد كافأه عليها، وربما بقي له الفضل والمنة علىٰ الناس، فتمحض عبدًا لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقيت عليه نعمة للناس فلم يُجزها ويُكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه.

وهذه الآية وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل: إنها نزلت بسببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ، حتىٰ ولا رسول الله ﷺ، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلىٰ دين الإسلام، وتعليم الهدىٰ ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة علىٰ كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزىٰ، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالىٰ، ولهذا قال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: هذا الأتقىٰ بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات.

والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة والضحى

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾.

[١-٣] أقسم تعالىٰ بالنهار إذا انتشر ضياؤه؛ بالضحىٰ، وبالليل ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ وادلهمت ظلمته؛ علىٰ اعتناء الله برسوله ﷺ، فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك منذ اعتنىٰ بك، ولا

الجزء الثلاثون — سورة الضحى — سورة الشرح

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ (ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ (ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

٥٩٦

أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يُربيك أكمل تربية، ويُعليك درجة بعد درجة، ﴿وَمَا﴾ قلاكَ الله؛ أي: ما أبغضك منذ أحبك؛ فإن نفي الضد دليل علىٰ ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن ثبوت كمال. فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها وترقيته في درجات الكمال، ودوام اعتناء الله به.

[٤] وأما حاله المستقبلة؛ فقال: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: كل حالة متأخرة من أحوالك؛ فإن لها الفضل علىٰ الحالة السابقة، فلم يزل ﷺ يصعد في درجات المعالي، ويُمكن الله له دينه، وينصره علىٰ أعدائه، ويُسدده في أحواله، حتىٰ مات وقد وصل إلىٰ حال ما يصل إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم وقرة العين وسرور القلب.

[٥] ثم بعد هذا لا تسأل عن حاله في الآخرة من تفاصيل الإكرام وأنواع الإنعام، ولهذا قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾: وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه العبارة الجامعة الشاملة.

[٦-٨] ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾؛ أي: وجدك لا أم لك ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يُدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده؛ كفله الله عمه أبَا طالب، حتىٰ أيده [الله] بنصره وبالمؤمنين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾؛ أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق. ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾؛ أي: فقيرًا، فأغناك الله بما فتح عليك من البلدان، التي جُبيت لك أموالها وخراجها، فالذي أزال عنك هذه النقائص سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلىٰ الغنىٰ وآواك ونصرك وهداك، قابِل نعمته بالشكران.

[٩-١١] ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: لا تُسئ معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يُصنع بولدك من بعدك، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أي: لا يصدر منك كلام للسائل يقتضي ردَّه عن مطلوبه بنهر وشراسة خُلق، بل أعطه ما تيسر عندك، أو رُدَّه بمعروف وإحسان، ويدخل في هذا السائل للمال والسائل للعلم، ولهذا كان المُعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المُتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه؛ فإن في ذلك معونة له علىٰ مقصده وإكرامًا لمن كان يسعىٰ في نفع العباد والبلاد، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية؛ أي: أثنِ علىٰ الله بها، وخُصَّها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا فحدِّث بنعم الله علىٰ الإطلاق؛ فإن التحدث بنعمة الله داعٍ لشكرها وموجب لتحبيب القلوب إلىٰ من أنعم بها؛ فإن القلوب مجبولة علىٰ محبة المُحسن.

تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾.

[١-٤] يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ رسوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلىٰ الله والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال علىٰ الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقًا حرجًا لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾؛ أي: ذنبك، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾؛ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق؛

فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه رسوله ﷺ؛ كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخُطَب ... وغير ذلك من الأمور التي أعلىٰ الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالىٰ؛ فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمته.

[٥-٦] وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾: بشارة عظيمة أنه كلما وُجِدَ عُسر وصعوبة؛ فإن اليُسر يُقارنه ويُصاحبه، حتىٰ لو دخل العسر جحر ضبٍّ؛ لدخل عليه اليسر فأخرجه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا»(١).

وتعريف «العسر» في الآيتين يدل علىٰ أنه واحد، وتنكير «اليسر» يدل علىٰ تكراره؛ فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام الدال علىٰ الاستغراق والعموم يدل علىٰ أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ؛ فإنه في آخره التيسير مُلازِمٌ له.

[٧-٨] ثم أمر [الله] رسوله أصلًا والمؤمنين تبعًا بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾؛ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه؛ فاجتهد في العبادة والدعاء، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وحده ﴿فَٱرْغَب﴾؛ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول دعواتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا؛ لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذِكره، فتكون من الخاسرين.

وقد قيل: إن معنىٰ هذا: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها؛ فانصب في الدعاء، وإلىٰ ربك فارغب في سؤال مطالبك.

واستدل من قال هذا القول علىٰ مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم [وبذلك] تمت، والحمد لله.

تفسير سورة والتين

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».



[١-٣] ﴿ٱلتِّينِ﴾: هو التين المعروف، وكذلك ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ أقسم بهاتين الشجرتين؛ لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام محل نبوة عيسىٰ بن مريم عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾؛ أي: طور سيناء محل نبوة موسىٰ عليه السلام، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: وهي: مكة المكرمة محل نبوة محمد ﷺ. فأقسم تعالىٰ بهذه المواضع المقدسة التي اختارها وابتعث منها أفضل الأنبياء وأشرفهم.

[٤] والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا وباطنًا شيئًا.

[٥-٦] ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور وسفساف الأخلاق، فردهم الله في ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي: أسفل النار موضع العصاة المتمردين علىٰ ربهم، إلا مَن منَّ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فَلَهُمْ﴾: بذلك المنازل العالية، و﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة ونعم متكاثرة؛ في أبدٍ لا يزول، ونعيم لا يحول، أُكُلُها دائم وظلُّها.

[٧-٨] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: أيُّ شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال؟ وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما يحصل لك به اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك ألا تكفر بشيء منها. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: فهل تقتضي حكمته أن يُترك الخلق سُدًى لا يُؤمرون ولا يُنهَون ولا يُثابون ولا يُعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوارٍ، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة؛ لا بد أن يُعيدهم إلى دارٍ هي مُستقرهم وغايتهم التي إليها يقصدون ونحوها يؤمُّون.

تمت، والحمد لله.

تفسير سورة اقرأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ
لَيَطْغَىٰ ⑥ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ⑩ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ
⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ
⑯ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩
⑲﴾.

[١] هذه السورة أول السور القرآنية نزولًا على رسول الله ﷺ؛ فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة؛ إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل - عليه [الصلاة و] السلام - بالرسالة، وأمره أن يقرأ، فامتنع وقال: «ما أنا بقارئ»! فلم يزل به حتى قرأ(١)؛ فأنزل الله [عليه]: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: عموم الخلق.

[٢] ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾؛ فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولهذا أتى بعد الأمر بالقراءة بخلقه للإنسان.

[٣-٥] ثم قال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾؛ أي: كثير الصفات، واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم أنواع العلوم، و﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم؛ فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، [الذي به تُحفظ العلوم] وتُضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس تنوب مناب خطابهم؛ فلله الحمد والمنة الذي أنعم على عباده بهذه النعم، التي لا يقدرون لها على جزاءٍ ولا شكورٍ، ثم مَنَّ عليهم بالغنى وسعة الرزق.

[٦-٨] ولكن الإنسان -لجهله وظلمه- إذا رأى نفسه غنيًّا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى، ونسي أن لربه ﴿الرُّجْعَىٰ﴾: ولم يَخَفِ الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان.

[٩-١٤] يقول الله لهذا المتمرد العاتي: ﴿أَرَأَيْتَ﴾: أيها الناهي للعبد إذا صلى ﴿إِن كَانَ﴾: العبد المصلي ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾: العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوْ أَمَرَ﴾: غيره ﴿بِالتَّقْوَىٰ﴾: فهل يحسن أن ينهى مَن هذا وصفه؟! أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟! فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى.

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾: الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟! ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: ما يعمل ويفعل؟

[١٥-١٦] ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿[كَلَّا] لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: عما يقول ويفعل، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأخذن بناصيته أخذًا عنيفًا، وهي حقيقة بذلك؛ فإنها ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾؛ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

[١٧-١٨] ﴿فَلْيَدْعُ﴾: هذا الذي حق عليه العذاب ﴿نَادِيَهُ﴾؛ أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾؛ أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته. فلينظر أيُّ الفريقين أقوى وأقدر، فهذه حالة الناهي وما توعد به من العقوبة.

[١٩] وأما حالة المنهي؛ فأمره الله ألا يصغي إلى هذا الناهي، ولا ينقاد لنهيه، فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه الخسار، ﴿وَاسْجُدْ﴾: لربك، ﴿وَاقْتَرِب﴾: منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات؛ فإنها كلها تُدني من رضاه وتُقرب منه، وهذا عام لكل ناهٍ عن الخير ولكلِّ مَنهيٍّ عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعذبه وآذاه.

تمت، والحمد لله رب العالمين.

(١) تقدم تخريجه.

تفسير سورة القدر
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)﴾.

[١] يقول تعالىٰ مُبينًا لفضل القرآن وعلو قدره: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: [كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾] وذلك أن الله تعالىٰ ابتدأ بإنزال القرآن في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة عامة لا يقدر العباد لها شكرًا، وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير القدرية.

[٢] ثم فخَّم شأنها، وعظَّم مقدارها، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؛ أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم.

[٣] ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾؛ أي: تُعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خاليةٍ منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول؛ حيث مَنَّ [تبارك و] تعالىٰ علىٰ هذه الأمة الضعيفة القوة والقوىٰ بليلة يكون العمل فيها يُقابل ويزيد علىٰ ألف شهر، عمر رجل مُعمر عمرًا طويلًا، نيفًا وثمانين سنة.

[٤] ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ أي: يكثر نزولهم فيها، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.

[٥] ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾؛ أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر. وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصًا في أوتاره، وهي باقية في كل سنةٍ إلىٰ قيام الساعة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف ويُكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر، والله أعلم.

الجزء الثلاثون — سورة القدر — سورة البينة

سُورَةُ القَدْرِ — ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢)
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)

سُورَةُ البَيِّنَةِ — ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢)
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤) وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧)

٥٩٨

تفسير سورة لم يكن
وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤) وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٨)﴾.

[١] يقول تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: من اليهود والنصارىٰ، ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: من سائر أصناف الأمم، ﴿مُنفَكِّينَ﴾: عن كفرهم وضلالهم الذي هم عليه؛ أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور الأوقات إلا كفرًا، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الواضحة والبرهان الساطع.

الجزء الثلاثون — سورة الزلزلة — سورة العاديات

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ (ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

الحزب ٦٠

٥٩٩

[٢-٣] ثم فسر تلك البينة، فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أرسله الله، يدعو الناس إلىٰ الحق، وأنزل عليه كتابًا يتلوه ليُعلم الناس الحكمة ويُزكيهم ويُخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾؛ أي: محفوظة من قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها أعلىٰ ما يكون من الكلام، ولهذا قال عنها: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الصحف ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؛ أي: أخبار صادقة وأوامر عادلة تهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريقٍ مستقيم؛ فإذا جاءتهم هذه البينة؛ فحينئذٍ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

[٤] وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له؛ فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم؛ فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم لم يزدهم الهدىٰ إلا ضلالًا ولا البصيرة إلا عمىً.

[٥] مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحدٍ ودين واحد؛ فما ﴿أُمِرُوٓا۟﴾ في سائر الشرائع، إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفىٰ لديه، ﴿حُنَفَآءَ﴾؛ أي: مُعرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ﴿لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ لفضلهما وشرفهما وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين. ﴿وَذَٰلِكَ﴾؛ أي: التوحيد والإخلاص في الدين هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: الدين المستقيم الموصل إلىٰ جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلىٰ الجحيم.

[٦] ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: لا يُفتَّر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: لأنهم عرفوا الحق، وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة.

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة.

[٨] ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾؛ أي: جنات إقامة لا ظعن فيها ولا رحيل ولا طلب لغايةٍ فوقها، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات [وجزيل المثوبات]. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجزاء الحسن ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾؛ أي: لمن خاف الله فأحجم عن معاصيه، وقام بما أوجب عليه.

تمت، والحمد لله.

تفسير سورة إذا زلزلت

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

[١-٢] يخبر تعالىٰ عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج حتىٰ يسقط ما عليها من بناء ومَعْلَم، فتندك جبالها، وتسوىٰ تلالها، وتكون قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمت، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾؛ أي: ما في بطنها من الأموات والكنوز.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: إذا رأىٰ ما عراها من الأمر العظيم [مستعظمًا لذلك]: ﴿مَا لَهَا﴾ ؟ أي: أي شيء عرض لها؟!

[٤-٥] ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ﴾: الأرض ﴿أَخۡبَارَهَا﴾؛ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر؛ فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: أمرها أن تُخبر بما عُمل عليها؛ فلا تعصي لأمره.

[٦] ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: من موقف القيامة [حين يقضي الله بينهم] ﴿أَشۡتَاتٗا﴾؛ أي: فرقًا متفاوتين، ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويُريهم جزاءه موفرًا.

[٧-٨] ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾: وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحقر الأشياء، وجُوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى؛ كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا﴾ وهذا فيه الترغيب في فعل الخير، ولو قليلًا، والترهيب من فعل الشر، ولو حقيرًا.

تفسير سورة العاديات

وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾.

[١] أقسم [الله تبارك و] تعالى بالخيل؛ لما فيها من آياته الله الباهرة، ونِعَمِهِ الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات، فقال: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾؛ أي: العاديات عَدْوًا بليغًا قويًّا يصدر عنه الضبح، وهو صوت نَفَسها في صدرها، عند اشتداد عَدْوها.

[٢] ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾: بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار، ﴿قَدۡحٗا﴾؛ أي: تنقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عَدَوْنَ.

[٣] ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾: على الأعداء، ﴿صُبۡحٗا﴾: وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحًا.

[٤-٥] ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بعدوهن وغارتهن، ﴿نَقۡعٗا﴾؛ أي: غُبارًا، ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ﴾؛ أي: براكبهن ﴿جَمۡعًا﴾؛ أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم.

[٦] والمقسَم عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾؛ أي: منوع للخير الذي لله عليه؛ فطبيعة الإنسان وجبلَّته أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها من الحقوق المالية والبدنية؛ إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ﴾؛ أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكَنَد لشاهدٌ بذلك لا يجحده ولا ينكره؛ لأن ذلك [أمر] بيِّن واضح، ويحتمل أن الضمير عائد إلى الله [تعالى]؛ أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك؛ ففيه الوعيد والتهديد الشديد لمن هو لربه كنود بأن الله عليه شهيد.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: كثير الحب للمال، وحبه لذلك هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه؛ قدم شهوة نفسه على رضا ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة.

[٩-١٠] ولهذا قال حاثًّا له على خوف يوم الوعيد: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾؛ أي: هلا يعلم هذا المغتر، ﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾؛ أي: أخرج الله الأموات من قبورهم لحشرهم ونشورهم، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: ظهر وبان ما فيها وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾؛ أي: مُطَّلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومُجازيهم عليها، وخص خبرهم بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم كل وقت؛ لأن المُراد بهذا الجزاء على الأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه.

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

تفسير سورة القارعة

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ
فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ
هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

[١-٣] ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: من أسماء يوم القيامة، سُميت بذلك لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظَّم أمرها وفخَّمه بقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾: من شدة الفزع والهول، ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾؛ أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش هي الحيوانات التي تكون في الليل يموج بعضها ببعض، لا تدري أين توجَّه؛ فإذا أوقد لها نار؛ تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول.

[٥] وأما الجبالُ الصمُّ الصلاب؛ فتكون ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًّا تطير به أدنىٰ ريح؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، ثم بعد ذلك تكون هباءً منثورًا، فتضمحل ولا يبقىٰ منها شيء يُشاهد. فحينئذ تُنصَبُ الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء.

[٦-٧] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت حسناته علىٰ سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: في جنات النعيم.

[٨-١١] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: مأواه ومسكنه النار التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. وقيل: إن معنىٰ ذلك: فأُم دماغه هاوية في النار؛ أي: يلقىٰ في النار علىٰ رأسه، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾: وهذا تعظيم لأمرها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها علىٰ حرارة نار الدنيا بسبعين ضِعفًا، نستجير بالله منها.

تفسير سورة ألهاكم التكاثر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ
﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ
لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾.

[١] يقول تعالىٰ موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خُلِقوا له من عبادته وحده لا شريك له ومعرفته والإنابة إليه وتقديم محبته علىٰ كل شيء: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: عن ذلك المذكور، ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: ولم يذكر المتكاثر به؛ ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون، من [التكاثر في] الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود منه وجه الله.

[٢] فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: فانكشف حينئذ لكم الغطاء، ولكن بعدما تعذر عليكم استئنافه. ودل قوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: أن البرزخ دار

المقصود منها النفوذ إلىٰ الدار الآخرة؛ لأن الله سماهم زائرين، ولم يُسمِّهم مقيمين، فدل ذلك علىٰ البعث والجزاء علىٰ الأعمال في دارٍ باقيةٍ غير فانيةٍ.

[٣-٦] ولهذا توعدهم: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلىٰ القلوب؛ لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلىٰ الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيَّركم إلىٰ ما ترون، ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾؛ أي: لَتَرِدُنَّ القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: رؤية بصرية؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: الذي تنعمتم به في دار الدنيا؛ هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به علىٰ معاصيه؛ فينعِّمكم نعيمًا أعلىٰ منه وأفضل؟ أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به علىٰ المعاصي؛ فيعاقبكم علىٰ ذلك؟ قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الآية.

تفسير سورة والعصر

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

[١-٣] أقسم تعالىٰ بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم؛ أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا؛ كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح؛ أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.


الجزء الثلاثون — سورة العصر — سورة الهمزة — سورة الفيل

سُورَةُ العَصۡرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩

سُورَةُ الفِيلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥

٦٠١

والتواصي بالصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصية الله، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون العبد قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم.

تفسير سورة الهمزة

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

الجزء الثلاثون — سورة قريش — سورة الماعون — سورة الكوثر

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

٦٠٢

[١] ﴿وَيْلٌ﴾؛ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾؛ أي: الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

[٢] ومن صفة هذا الهماز [اللماز]، أنه لا هم له سوىٰ جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾: بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه [كله] في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر.

[٤-٧] ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ﴾؛ أي: ليطرحن ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: تعظيم لها وتهويل لشأنها. ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: التي وقودها الناس والحجارة، ﴿ٱلَّتِى﴾: من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾؛ أي: تنفذ من الأجسام إلىٰ القلوب.

[٨-٩] ومع هذه الحرارة البليغة، هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي: مغلقة، ﴿فِى عَمَدٍ﴾: من خلف الأبواب، ﴿مُّمَدَّدَةٍۭ﴾: لئلا يخرجوا منها؛ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.

تفسير سورة الفيل

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾.

[١-٥] أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه ورحمته بعباده وأدلة توحيده، وصدق رسوله [محمد] ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام، وأرادوا إخرابه؛ فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاؤوا بجمع لا قِبَل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلىٰ قرب مكة -ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا [علىٰ أنفسهم] منهم- أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل؛ أي: متفرقة، تحمل أحجارًا محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيَهم ودانيَهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفىٰ الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة مشهورة، وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته وأدلة رسالته، فلله الحمد والشكر.

تفسير سورة لإيلاف قريش

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾.

[١-٤] قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها؛ أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل؛ لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن وفي الصيف للشام لأجل التجارة والمكاسب. فأهلك

الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتىٰ احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أيِّ سفر أرادوا، ولهـذا أمـرهـم الله بالشكر، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾؛ أي: ليوحِّدوه ويُخلصوا له العبادة، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾: فرغد الرزق والأمن من الخوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالىٰ.

فلك اللهم الحمد والشكر علىٰ نعمك الظاهرة والباطنة.

وخص الله الربوبية بالبيت لفضله وشرفه، وإلا؛ فهو رب كل شيء.

تفسير سورة الماعون

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

[١] يقول تعالىٰ ذامًّا لمن ترك حقوقه وحقوق عباده: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء؛ فلا يؤمن بما جاءت به الرسل.

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾؛ أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه؛ لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابًا.

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾: غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: ومن باب أولىٰ أنه بنفسه لا يُطعم المسكين.

[٤-٥] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: الملتزمين لإقامة الصلاة، ولكنهم ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مُخلون بأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله؛ حيث ضيعوا الصلاة التي هي أهم الطاعات، والسهو عن الصلاة هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم، وأما السهو في الصلاة؛ فهذا يقع من كل أحد، حتىٰ من النبي ﷺ[١].

[٦-٧] ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾؛ أي يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾؛ أي: يمنعون إعطاء الشيء الذي لا يضر إعطاؤه علىٰ وجه العارية أو الهبة؛ كالإناء والدلو والفأس ونحو ذلك مما جرت العادة ببذله والسماح به، فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون؛ فكيف بما هو أكثر منه؟!

وفي هذه السورة الحث علىٰ إطعام اليتيم والمساكين، والتحضيض علىٰ ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلىٰ الإخلاص فيها، وفي سائر الأعمال، والحث علىٰ فعل المعروف، وبذل الأمور الخفيفة كعارية الإناء والدلو والكتاب ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه أعلم.

تفسير سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

[١] يقول الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ [ممتنًا عليه]: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾؛ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ [يوم القيامة] من النهر الذي يقال له «الكوثر»[٢]، ومن الحوض؛ طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، آنيته عدد نجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة؛ لم يظمأ بعدها أبدًا[٣].

[٢] ولما ذكر منته عليه؛ أمره بشكرها، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾: خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلىٰ الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جُبلت النفوس علىٰ محبته والشُّح به.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي: مُبغضك وذامُّك ومُتنقصك، ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾؛ أي: المقطوع من كل خير؛ مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمدٌ ﷺ؛ فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن للمخلوق من رفع الذكر وكثرة الأنصار والأتباع ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).



تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

[١-٦] أي: قل للكافرين مُعلنًا ومُصرحًا: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله ظاهرًا وباطنًا. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله؛ فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تُسمىٰ عبادة. وكرر ذلك ليدل الأول علىٰ عدم وجود الفعل، والثاني علىٰ أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا، ولهذا ميَّز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

❁ ــــــــ ❁

تفسير سورة النصر

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

[١-٣] في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه علىٰ ما يترتب علىٰ ذلك.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس ﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشَّر به.

وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر [الله] رسوله أن يشكره علىٰ ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره.

وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة أن النصر يستمر للدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًّا، حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه، من لم يدخل في غيره، حتىٰ حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلوا بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل.

ومع هذا؛ فلهذه الأمة وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

وأما الإشارة الثانية: فهي الإشارة إلىٰ أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك؛ فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلىٰ أن أجله قد انتهىٰ؛ فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فكان [ﷺ] يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته؛ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي!**»(١).

❁ ــــــــ ❁

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧ و٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

تفسير سورة تبت

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

أبو لهب هو عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا فيه دين له، ولا حمية للقرابة -قبحه الله- فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلىٰ يوم القيامة فقال:

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي: خسرت يداه وشقي، ﴿وَتَبَّ﴾: فلم يربح.

[٢] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾: الذي كان عنده؛ فأطغاه، ولا ما ﴿كَسَبَ﴾: فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذ نزل به.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها علىٰ الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعىٰ غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع علىٰ ظهرها الأوزار؛ بمنزلة من يجمع حطبًا، قد أعد له في عنقه حبلًا ﴿مِّن مَّسَدٍۭ﴾؛ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب علىٰ زوجها، متقلدة في عنقها حبلًا من مسد.

وعلىٰ كلٍّ؛ ففي هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولابد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

تفسير سورة الإخلاص

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.


الجزء الثلاثون — سورة الإخلاص — سورة الفلق — سورة الناس

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦

٦٠٤

[١] أي: ﴿قُلْ﴾: قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: قد انحصرت فيه الأحدية؛ فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنىٰ، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أي: المقصود في جميع الحوائج؛ فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي [قد] كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء وهكذا سائر أوصافه.

[٣] ومن كماله أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لكمال غناه.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ تبارك وتعالىٰ.

فهذه السورة مُشتملة علىٰ توحيد الأسماء والصفات.

تفسير سورة الفلق
وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

[١] أي: ﴿قُلْ﴾: متعوذًا: ﴿أَعُوذُ﴾؛ أي: ألجأ وألوذ وأعتصم، ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؛ أي: فالق الحب والنوىٰ، وفالق الإصباح.

[٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات؛ فيُستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

[٣] ثم خص بعدما عمَّ، فقال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: من شر ما يكون في الليل حين يغشىٰ الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية.

[٤] ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾؛ أي: ومن شر السواحر اللاتي يستعن علىٰ سحرهن بالنفث في العُقد التي يعقدنها علىٰ السحر.

[٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود؛ فيسعىٰ في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلىٰ الاستعاذة بالله من شره وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسدٍ شرير الطبع خبيث النفس.

فهذه السورة تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور عمومًا وخصوصًا، ودلت علىٰ أن السحر له حقيقة؛ يُخشىٰ من ضرره، ويُستعاذ بالله منه ومن أهله.

تفسير سورة الناس
وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

[١-٦] وهذه السورة مشتملة علىٰ الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان، الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسوس في صدور الناس؛ فيحسِّن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويُثبطهم عن الخير، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال، يوسوس ثم يخنُسُ؛ أي: يتأخر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربه واستعان [به] علىٰ دفعه؛ فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها؛ فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه؛ ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ونسأله تعالىٰ أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبنا التي حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه ونأملُ منه ألا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا؛ فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون، وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلامًا دائمين متواصلين أبد الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تم تفسير كتاب الله بعونه وحُسن توفيقه علىٰ يد جامعه وكاتبه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي. [غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين].

وقع النقل في ٧ شعبان سنة (١٣٤٥).

ربنا تقبل منا واعف عنا إنك أنت الغفور الرحيم.

مُلحق:

«عقيدة أهل السنة والجماعة»

للشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين

مُلحق:

«عقيدة أهل السنة والجماعة»

للشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين

تقديم سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحَمدُ للهِ وَحدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَن لَا نَبِيَّ بَعدَهُ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَقَدِ اطَّلَعتُ عَلَى العَقِيدَةِ القَيِّمَةِ المُوجزَةِ، الَّتِي جَمَعَهَا أَخُونَا العَلَّامَةُ فَضِيلَةُ الشَّيخِ: مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ العُثَيمِينَ، وَسَمِعتُهَا كُلَّهَا، فَأَلفَيتُهَا مُشتَمِلَةً عَلَى بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي بَابِ: تَوحِيدِ اللهِ وَأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَبوَابِ: الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ وَالكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

وَقَد أَجَادَ فِي جَمعِهَا وَأَفَادَ، وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَحتَاجُهُ طَالِبُ العِلمِ وَكُلُّ مُسلِمٍ فِي إِيمَانِهِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَقَد ضَمَّ إِلَى ذَلِكَ فَوَائِدَ جَمَّةً تَتَعَلَّقُ بِالعَقِيدَةِ قَد لَا تُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ فِي العَقَائِدِ.

فَجَزَاهُ اللهُ خَيرًا، وَزَادَهُ مِنَ العِلمِ وَالهُدَى، وَنَفَعَ بِكِتَابِهِ هَذَا وَبِسَائِرِ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِنَ الهُدَاةِ المُهتَدِينَ، الدَّاعِينَ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ.

قَالَهُ مُمليه الفَقِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى

عَبدُ العَزِيزِ بنُ عَبدِ اللهِ بنِ بَازٍ - سَامَحَهُ اللهُ-

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ، وَلَا عُدوانَ إِلَّا عَلَى الظَالِمِينَ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، وَأَشهَد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ المُتَّقِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعد:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ وَقُدوَةً لِلعَامِلِينَ وَحُجَّةً عَلَى العِبَادِ أَجمَعِينَ، بَيَّنَ بِهِ وَبِمَا أَنزَلَ عَلَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ كُلَّ مَا فِيهِ صَلَاحُ العِبَادِ وَاستِقَامَةُ أَحوَالِهِم فِي دِينِهِم وَدُنيَاهُم: مِنَ العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالأَعمَالِ القَوِيمَةِ وَالأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالآدَابِ العَالِيَةِ، فَتَرَكَ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى المَحَجَّةِ البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا إِلَّا هَالِكٌ.

فَسَارَ عَلَى ذَلِكَ أُمَّتُهُ الَّذِينَ استَجَابُوا للهِ وَرَسُولِهِ، وَهُم خِيرَةُ الخَلقِ: مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ، فَقَامُوا بِشَرِيعَتِهِ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ: عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَخُلُقًا وَأَدَبًا، فَصَارُوا هُمُ الطَّائِفَةَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم أَو خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ تَعَالَى وَهُم عَلَى ذَلِكَ.

وَنَحنُ - وَللهِ الحَمدُ - عَلَى آثَارِهِم سَائِرُونَ، وَبِسِيرَتِهِم المُؤَيَّدَةِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُهتَدُونَ، نَقُولُ ذَلِكَ تَحَدُّثًا بِنِعمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَبَيَانًا لِمَا يَجِبُ أَن يَكُونَ عَلَيهِ كُلُّ مُؤمِنٍ.

وَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يُثَبِّتَنَا وَإِخوَانَنَا المُسلِمِينَ بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِنهُ رَحمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا المَوضُوعِ وَتَفَرُّقِ أَهوَاءِ الخَلقِ فِيهِ، أَحبَبتُ أَن أَكتُبَ عَلَى سَبِيلِ الاختِصَارِ عَقِيدَتَنَا - عَقِيدَةَ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ - وَهِيَ: الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، سَائِلًا اللهَ تَعَالَى أَن يَجعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجهِهِ، مُوَافِقًا لِمَرضَاتِهِ، نَافِعًا لِعِبَادِهِ.

عقيدتنا

عَقِيدَتُنَا: الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.

فَنُؤمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَى؛ أَي: بِأَنَّهُ الرَّبُّ الخَالِقُ المَلِكُ المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ.

وَنُؤمِنُ بِأُلُوهِيَّةِ اللهِ تَعَالَى؛ أَي: بِأَنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ وَكُلُّ مَعبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ.

وَنُؤمِنُ بِأَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أَي: بِأَنَّهُ لَهُ الأَسمَاءَ الحُسنَى وَالصِّفَاتِ الكَامِلَةَ العُليَا.

وَنُؤمِنُ بِوَحدَانِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ؛ أَي: بِأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي أُلُوهِيَّتِهِ وَلَا فِي أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُلكَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١١، ١٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ: ﴿ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مَتَى شَاءَ كَيْفَ شَاءَ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: ٥٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ كَلِمَاتِهِ أَتَمُّ الكَلِمَاتِ صِدقًا فِي الأَخبَارِ، وَعَدلًا فِي الأَحكَامِ، وَحُسنًا فِي الحَدِيثِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وَقَالَ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ القُرآنَ الكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَلقَاهُ إِلَى جِبرِيلَ، فَنَزَلَ بِهِ جِبرِيلُ عَلَى قَلبِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجل عَلِيٌّ عَلَى خَلقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَولِهِ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

ونؤمنُ بِأَنهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [يونس: ٣].

وَاستِوَاؤُهُ عَلَى العَرشِ: عُلُوُّهُ عَلَيهِ بِذَاتِهِ عُلُوًّا خَاصًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ لَا يَعلَمُ كيفيته إِلَّا هُوَ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَى مَعَ خَلقِهِ وَهُوَ عَلَى عَرشِهِ، يَعلَمُ أَحوَالَهُم وَيَسمَعُ أَقوَالَهُم وَيَرَى أَفعَالَهُم وَيدَبِّرُ أُمُورَهُم، يرزُقُ الفَقِيرَ، وَيَجبُرُ الكَسِيرَ، يُؤتِي المُلكَ مَن يَشَاءُ، وَينزِعُ المُلكَ مِمَّن يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَن يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَن يَشَاءُ، بِيَدِهِ الخَيرُ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَمَن كَانَ هَذَا شَأنُهُ كَانَ مَعَ خَلقِهِ حَقِيقَةً، وَإِن كَانَ فَوقَهُم عَلَى عَرشِهِ حَقِيقَةً ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الحلُولِيَّةُ مِنَ الجَهمِيَّةِ وَغَيرِهِم: إِنَّهُ مَعَ خَلقِهِ فِي الأَرضِ، وَنَرَى أَنَّ مَن قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ أَو ضَالٌّ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ اللهَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ.

وَنُؤمِنُ بِمَا أَخبَرَ بِهِ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ: **«أَنَّهُ يَنزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُم مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ؟ مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ؟»**[1].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ ﷻ يَأتِي يَومَ المَعَادِ لِلفَصلِ بَينَ العِبَادِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود: ١٠٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ إِرَادَتَهُ الله تَعَالَى نَوعَانِ:

كَونِيَّةٌ: يَقَعُ بِهَا مُرَادُهُ وَلَا يَلزَمُ أَن يَكُونَ مَحبُوبًا لَهُ؛ وَهِيَ الَّتِي بِمَعنَى المَشِيئَةِ، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ﴾ [هود: ٣٤].

وَشَرعِيَّةٌ: لَا يَلزَمُ بِهَا وُقُوعُ المُرَادِ وَلَا يَكُونُ المُرَادُ فِيهَا إِلَّا مَحبُوبًا لَهُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ مراده الكَونِيَّ وَالشَّرعِيَّ تَابِعٌ لِحكمَتِه، فَكُلُّ مَا قَضَاهُ كَونًا أَو تَعبَّدَ بِهِ خَلقَهُ شَرعًا فَإِنَّهُ لِحِكمَةٍ، وَعَلَى وَفقِ الحِكمَةِ، سَوَاءً عَلِمنَا مِنهَا مَا نَعلَمُ، أَو تَقَاصَرَت عُقُولُنَا عَن ذلِكَ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ [التين: ٨].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَولِيَاءَهُ وَهُم يُحِبُّونَهُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرضَى مَا شَرَعَهُ مِنَ الأَعمَالِ وَالأَقوَالِ، وَيَكرَهُ مَا نَهَى عَنهُ مِنهَا:

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦ ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة: ٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَغضَبُ عَلَى مَن يَستَحِقُّ الغَضَبَ مِنَ الكَافِرِينَ وَغَيرِهِم:

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦].

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَى وَجهًا مَوصُوفًا بِالجَلَالِ وَالإِكرَامِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ للهِ تَعَالَى يَدَينِ كَرِيمَتَينِ عَظِيمَتَينِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ للهِ تَعَالَى عَينَينِ اثنَتَينِ حَقِيقِيتينِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَو كَشَفَهُ لَأَحرَقَت سُبُحَاتُ وَجهِهِ مَا انتَهَى إِلَيهِ بَصَرُهُ مِن خَلقِهِ**»[1].

وَأَجمَعَ أَهلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ العَينَينِ اثنَتَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ: «**إِنَّهُ أَعوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُم لَيسَ بِأَعوَرَ**»[2].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ المُؤمِنِينَ يَرَونَ رَبَّهُم يَومَ القِيَامَةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الله تَعَالَى لَا مِثلَ لَهُ؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَظلِمُ أَحَدًا لِكَمَالِ عَدلِهِ، وَبِأَنَّهُ لَيسَ بِغَافِلٍ عَن أَعمَالِ عِبَادِهِ لِكَمَالِ رَقَابَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّهُ لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ لِكَمَالِ عِلمِهِ وَقُدرَتِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

( ) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وبِأَنَّهُ لَا يَلحقُهُ تَعَبٌ وَلَا إِعياءٌ؛ لِكَمال قُوَّتِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

أي: مِن تَعَبٍ وَلَا إِعياءٍ.

وَنُؤمنُ بِثبُوتِ كُلِّ مَا أَثبَتَهُ الله لِنَفسِهِ، أَو أَثبتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الأَسماءِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّنَا نَتبَرَّأُ مِن مَحذُورَينِ عَظِيمَينِ، هُمَا:

التَّمثِيل: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: صِفَات اللهِ تَعَالَى كَصِفَاتِ المَخلُوقِينَ.

وَالتَّكيِيفُ: أَن يَقُولَ بِقَلبِهِ أَو لِسَانِهِ: كَيفِيَّةُ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى كَذَا وَكَذَا.

وَنؤمِنُ بانتِفَاءِ كُلِّ مَا نَفَاهُ اللهُ عَن نَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَأَنَّ ذَلِكَ النَّفيَ يَتَضَمَّنُ إِثبَاتًا لِكَمَالِ ضِدِّهِ، وَنَسكُتُ عَمَّا سَكَتَ اللهُ عَنهُ وَرَسُولُهُ.

وَنَرَى أَنَّ السَّيرَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ فَرضٌ لَا بُدَ مِنهُ، وَذَلِكَ لأَنَّ مَا أَثبَتَهُ اللهُ لِنَفسِهِ أَو نَفَاهُ عَنهَا سُبحَانَهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ اللهُ بِهِ عَن نَفسِهِ، وَهُوَ سُبحَانَهُ أَعلَمُ بِنَفسِهِ وَأَصدَقُ قِيلًا وَأَحسَنُ حَدِيثًا، وَالعِبَادُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا.

وَمَا أَثبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ أَو نَفَاهُ عَنهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخبَرَ بِهِ عَنهُ، وَهُوَ أَعلَمُ النَّاسِ بِرَبِّهِ وَأَنصَحُ الخَلقِ وَأَصدَقُهُم وَأَفصَحُهُم، فَفِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ كَمالُ العِلمِ وَالصِّدقِ وَالبَيَانِ، فَلَا عُذرَ فِي رَدِّهِ، أَوِ التَّرَدُّدِ فِي قَبُولِهِ.

فَصلٌ

وَكُلُّ مَا ذَكَرنَاهُ مِن صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى تَفصِيلًا أَو إِجمَالًا، إِثبَاتًا أَو نَفيًا، فَإِنَّنَا فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُعتَمِدُونَ، وَعَلَى مَا سَارَ عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّةُ الهُدَى مِن بَعدِهِم سَائِرُون.

وَنَرَى وُجُوبَ إِجرَاءِ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَحَملِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا اللَّائِقَةِ بِاللهِ عَزَّ وَجَل.

وَنَتبَرَّأُ مِن طَرِيقِ المُحَرِّفِينَ لَهَا الَّذِينَ صَرَفُوهَا إِلَى غَيرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا وَرَسُولُهُ.

وَمن طَرِيقِ المُعَطِّلِينَ لَهَا الَّذِينَ عَطَّلُوهَا مِن مَدلُولِهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

وَمن طَرِيقِ الغَالِينَ فيهَا الَّذِينَ حَمَلُوهَا عَلَى التَّمثِيلِ أَو تكَلَّفُوا لمِدلُولهِا التَّكييفَ.

وَنعلَمُ عِلمَ اليَقِينِ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى أَو سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ بَعضُهُ بَعضًا؛ لِقَولهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وَلأَنَّ التَّنَاقُضَ فِي الأَخبَارِ يَستَلزِمُ تَكذِيبَ بَعضِهَا بَعضًا وَهَذَا مُحَالٌ فِي خَبَرِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولهِ ﷺ.

وَمَنِ ادَّعَى أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، أَو فِي سُنَّةِ رَسُولهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا تَنَاقُضًا؛ فَذَلِكَ لِسُوءِ قَصدِهِ وَزَيغِ قَلبِهِ، فَليَتُب إِلَى اللهِ تَعَالَى وَليَنزِع عَن غَيِّهِ.

وَمَن تَوَهَّمَ التَّنَاقُضَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى أَو فِي سُنَّةِ رَسُولهِ ﷺ أَو بَينَهُمَا، فَذَلِكَ إِمَّا لِقِلَّةِ عِلمِهِ، أَو قُصُورِ فَهمِهِ، أَو تَقصِيرِهِ فِي التَّدَبُّرِ، فَليَبحَث عَنِ العِلمِ وَليَجتَهِد فِي التَّدَبُّرِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ، فَإِن لَم يَتَبَيَّن لَهُ فَليَكِلِ الأَمرَ إِلَى عَالمِهِ، وَليَكُفَّ عَن تَوَهُّمِهِ، وَليَقُل كَمَا يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. وَليَعلَم أَنَّ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لَا تَنَاقُضَ فِيهِمَا وَلَا بَينَهُمَا وَلَا اختِلَافَ.

فَصلٌ

وَنؤمِنُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِن نُورٍ، فَقَامُوا بِعِبَادَتِهِ وَانقَادُوا لِطَاعَتِهِ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

حَجَبَهُمُ اللهُ عَنَّا فَلَا نَرَاهُم، وَرُبَّمَا كَشَفَهُم لِبَعضِ عِبَادِهِ، فَقَد رَأَى النَّبِيّ ﷺ جِبرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ قَد سَدَّ الأُفقَ، وَتَمَثَّلَ جِبرِيلُ لِمَريَمَ بَشَرًا سَوِيًّا، فَخَاطَبَتهُ وَخَاطَبَهَا، وَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِندَهُ الصَّحَابَةُ بِصُورَةِ رَجُلٍ لَا يُعرَفُ وَلَا يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَى رُكبَتَي النَّبِيِّ ﷺ وَوَضَعَ كَفيهِ عَلَى فَخذَيهِ، وَخَاطَبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَاطَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصحَابَهُ أَنَّهُ جِبرِيلُ.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ لِلمَلَائِكَةِ أَعمَالًا كُلِّفُوا بِهَا:

❁ فَمِنهُم جبرِيلُ: المُوَكَّلُ بِالوَحيِ يَنزِلُ بِهِ مِن عِندِ اللهِ عَلَى مَن يَشاءُ مِن أَنبِيائِهِ وَرُسُلِهِ.

❁ وَمنهُم مِيكَائِيلُ: المُوَكَّلُ بِالمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.

❁ وَمنهُم إِسرَافِيلُ: المُوَكَّلُ بِالنَّفخِ فِي الصُّورِ حِينَ الصَّعقِ وَالنُّشُورِ.

❁ ومنهُم مَلَكُ المَوتِ: المُوَكَّلُ بِقَبضِ الأَروَاحِ عِندَ المَوتِ.

❁ وَمنهُم مَلَكُ الجِبَالِ: المُوَكَّلُ بِهَا.

❁ وَمنهُم مَالِكٌ: خَازِنُ النَّارِ.

وَمنهُم مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بالأَجِنَّةِ فِي الأَرحَامِ وَآخَرُون مُوَكَّلُونَ بِحِفظِ بَنِي آدَمَ، وَآخَرُون مُوَكَّلُونَ بِكِتَابَةِ أَعمَالِهِم، لِكُلِّ شَخصٍ مَلَكَانِ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧-١٨]. وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِسُؤَالِ المَيِّتِ بَعدَ الانتِهَاءِ مِن تَسلِيمِهِ إِلَى مَثوَاهُ، يَأتِيهِ مَلَكَانِ يَسأَلَانِهِ عَن رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ فـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَمنهُمُ المَلَائِكَةُ المُوَكَّلُونَ بِأَهلِ الجَنَّةِ: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وَقد أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البَيتَ المَعمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدخُلُهُ- وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي فِيهِ- كُلَّ يَومٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ آخِرَ مَا عَلَيهِم[(١)].

فَصلٌ

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنزَلَ عَلَى رُسُلِهِ كُتبًا حُجَّةً عَلَى العَالَمِينَ وَمَحَجَّةً لِلعَامِلِينَ يُعَلِّمُونَهُم بِهَا الحِكمَةَ وَيُزَكُّونَهُم.

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنزَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ كِتَابًا؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

وَنَعلَمُ مِن هَذِهِ الكُتُبِ:

أ- التَّورَاةَ: الَّتِي أَنزَلَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى ﷺ، وَهِيَ أَعظَمُ كُتُبِ بَنِي إِسرَائِيلَ: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ب- الإِنجِيلَ: الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِيسَى ﷺ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لِلتَّورَاةِ وَمُتَمِّمٌ لَهَا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

ج- الزَّبُورَ: الَّذِي آتاه اللهُ داودَ ﷺ. [﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾].

د- صُحُفَ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى- عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

هـ- القُرآنَ العَظِيمَ: الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فكَانَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فَنَسَخَ اللهُ بِهِ جَمِيعَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ وَتَكَفَّلَ بِحِفظِهِ عَن عَبَثِ العَابِثِينَ وَزَيغِ المُحَرِّفِينَ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]. لأَنهُ سَيبقَى حُجَّةً عَلَى الخَلقِ أَجمَعِينَ إِلَى يوم القِيامَةِ.

أَمَّا الكُتُبُ السابِقَةُ فَإِنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ بِأَمَدٍ يَنتَهِي بِنُزُولِ مَا يَنسَخُهَا وَيُبَيِّنُ مَا حَصَلَ فِيهَا مِن تَحرِيفٍ وتَغيِيرٍ، وَلهَذَا لَم تَكُن مَعصُومَةً مِنهُ، فَقَد وَقَعَ فِيهَا التَّحرِيفُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقصُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى

لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨، ٧٩]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إِلَى قولِهِ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٥-١٧].

فَصْلٌ

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ إِلَى النَّاسِ رُسُلًا: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ وَآخِرَهُم مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِم وَسَلَّم أَجمَعِينَ -: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَأَنَّ أَفضَلَهُم مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِبرَاهِيمُ، ثم مُوسَى، ثُمَّ نُوحٌ وَعِيسَى بنُ مَريَمَ، وَهُمُ المَخصُوصُونَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

وَنَعتَقِدُ أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَاوِيَةٌ لِفَضَائِلِ شَرَائِعِ هَؤلاءِ الرُّسُلِ المُخْصُوصِينَ بِالفَضلِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بَشَرٌ مَخلُوقُونَ، لَيسَ لَهُم مِن خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيءٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى عَن نُوحٍ وَهُوَ أَوَّلُهُم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وأَمَرَ اللهُ تعالَى مُحَمَّدًا - وَهُوَ آخِرُهُم - أَن يقُولَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وأَن يقُولَ: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأَن يقُولَ: ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

وَنُؤمِنُ بِأَنَهُم عَبِيدٌ مِن عِبادِ اللهِ أَكرَمَهُمُ اللهُ تعالَى بالرِّسالَةِ، وَوَصَفَهُم بالعُبُودِيَّةِ فِي أَعلَى مَقامَاتِهِم وَفِي سِياقِ الثَّناءِ عَلَيهِم، فقالَ فِي أَوَّلِهم نُوحٍ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وقَالَ فِي آخِرِهِم مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [االفرقان: ١].

وقَالَ فِي رُسُلٍ آخَرِينَ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

وقَالَ فِي عِيسَى بنِ مَريَمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تعالَى خَتَمَ الرِّسالاتِ بِرسالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأَرسَلَهُ إلَى جَمِيعِ النَّاسِ؛ لِقَولِهِ تعالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ شَرِيعَتَهُ ﷺ هِيَ دِينُ الإسلامِ الَّذِي ارتَضاهُ اللهُ تعالَى لِعِبادِهِ، وأَنَّ اللهَ تعالَى لَا يَقبَلُ مِن أَحَدٍ دِينًا سِواهُ؛ لِقَولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَولِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونَرى أَنَّ مَن زَعَمَ اليومَ دِينًا قائِمًا مَقبولًا عِندَ اللهِ سِوى دِينِ الإِسلامِ، مِن دِينِ اليَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصرانِيةِ أو غيرِهِما، فهُوَ كَافِرٌ، ثُمَّ إِنْ كَانَ أَصلُهُ مُسلِمًا يُستَتابُ، فإِن تابَ وإِلَّا قُتِلَ مُرتَدًّا؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلقُرآنِ.

ونَرى أَنَّ مَن كَفَرَ بِرِسالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا فقَد كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، حَتَّى بِرَسُولِهِ الَّذي يَزعُمُ أَنَّهُ مُؤمِنٌ بِهِ مُتَّبِعٌ لَهُ؛ لِقَولِهِ تَعالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فجَعلَهُم مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَم يَسبِق نُوحًا رَسُولٌ.

وقالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

ونُؤمِنُ بِأَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعدَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعدَهُ أَو صَدَّقَ مَنِ ادَّعاها فهُوَ كافِرٌ؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلكِتابِ والسُّنَّةِ وإِجماعِ المُسلِمِينَ.

ونُؤمِنُ بأَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُلَفاءَ راشِدِينَ خَلَفُوهُ فِي أُمَّتِهِ عِلمًا ودَعوَةً ووِلايَةً، وبِأَنَّ أَفضَلَهُم وأَحَقَّهُم بِالخِلافَةِ أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمانُ بنُ عَفَّانَ، ثمَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنهم أجمَعِينَ-.

وهَكَذا كَانُوا فِي الخِلافَةِ قَدرًا كَما كَانُوا فِي الفَضِيلَةِ شَرعًا، ومَا كانَ اللهُ تَعالَى- ولَهُ الحِكمَةُ البالِغَةُ- لِيُوَلِّيَ عَلَى خَيرِ القُرُونِ رَجُلًا وفِيهِم مَن هُوَ خَيرٌ مِنهُ وأَجدَرُ بِالخِلافَةِ.

ونُؤمِنُ بِأَنَّ المَفضُولَ مِن هؤلاءِ قَد يَتَمَيَّزُ بِخَصِيصَةٍ يَفُوقُ فِيهَا مَن هُوَ أَفضَلُ مِنهُ، لَكِنَّهُ لا يَستَحِقُّ بِهَا الفَضلَ المُطلَقَ عَلَى مَن فَضَلَهُ؛ لأَنَّ مُوجِباتِ الفَضلِ كَثِيرَةٌ ومُتَنَوِّعَةٌ.

ونُؤمِنُ بِأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ خَيرُ الأُمَمِ وأَكرَمُها عَلَى اللهِ ، لِقَولِهِ تَعالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ونُؤمِنُ بِأَنَّ خَيرَ هَذه الأُمَّةِ: الصَّحابَةُ، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ تابِعُوهُم، وبِأَنَّهُ لا تَزالُ طَائِفَة من هَذهِ الأُمَّةِ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم، أَو خالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ .

وَنعتقِدُ أَنَّ مَا جرَى بَينَ الصَّحابَةِ ﭬ مِنَ الفِتَنِ، فَقَد صَدرَ عَن تَأوِيلٍ اجتَهدُوا فِيهِ، فَمَن كَانَ مِنهُم مُصِيبًا كانَ لَهُ أجرانِ، وَمَن كَانَ مِنهُم مُخطِئًا فَلَهُ أَجرٌ وَاحِد، وَخطَؤهُ مَغفُور لَه.

وَنرَى أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَن مَساوِئهِم، فَلا نَذكُرُهُم إِلَّا بِمَا يَستَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّناءِ الجَمِيلِ، وَأَن نُطَهِّرَ قُلُوبَنا مِنَ الغِلِّ وَالحِقدِ عَلَى أَحَدٍ مِنهُم؛ لِقَولِهِ تَعالَى فِيهِم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وَقولِ اللهِ تَعالَى فِينا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

فَصْلٌ

وَنُؤمِنُ بِاليومِ الآخِرِ: وَهُوَ يَومُ القِيامَةِ الَّذِي لَا يَومَ بَعدَهُ، حِينَ يُبعَثُ النَّاسُ أَحياءً لِلبَقاءِ؛ إمَّا فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَإمَّا فِي دَارِ العَذَابِ الأَلِيم.

فَنُؤمِنُ بِالبَعثِ: وَهُوَ إِحيَاءُ اللهِ تَعالَى المَوتَى حِينَ يَنفُخُ إِسرَافِيلُ فِي الصُّورِ النَّفخَةَ الثَّانِيَةَ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]. فَيَقُومُ النَّاسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، عُراةً بِلَا ثِيَابٍ، غُرلًا بِلَا خِتَانٍ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَنُؤمِنُ بِصَحَائِفِ الأَعمَالِ تُعطَى بِاليَمِينِ أَو مِن وَرَاءِ الظُّهُورِ بِالشِّمَالِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ١٢].

﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وَنُؤمِنُ بِالمَوَازِينِ تُوضَعُ يَومَ القِيامَةِ فَلَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن

يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٤].

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَنؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ العُظمَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، يَشفَعُ عِندَ اللهِ تَعالَى بِإِذنِه لِيَقضِيَ بَينَ عِبَادِهِ، حِينَ يُصِيبُهُم مِنَ الهَمِّ وَالكَربِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَيَذهَبُونَ إِلَى آدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، حَتَّى تَنتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَنُؤمِنُ بِالشَّفَاعَةِ فِيمَن دَخَلَ النَّارَ مِنَ المُؤمِنِينَ أَن يَخرُجُوا مِنهَا، وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَغَيرِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالمُؤمِنِينَ وَالمَلَائِكَةِ.

وَبِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُخرِجُ مِنَ النَّارِ أَقوَامًا مِنَ المُؤمِنِينَ بِغَيرِ شَفَاعَةٍ، بَل بِفَضلِهِ وَرَحمَتِهِ.

وَنُؤمِنُ بِحَوضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَطيَبُ مِن رَائِحَةِ المِسكِ، طُولُهُ شَهرٌ، وَعَرضُهُ شَهرٌ، وَآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ حُسنًا وَكَثرَةً، يَرِدُهُ المُؤمِنُونَ مِن أُمَّتِهِ، مَن شَرِبَ مِنهُ؛ لَم يَظمَأْ بَعدَ ذَلِكَ.

وَنُؤمِنُ بِالصِّرَاطِ المَنصُوبِ عَلَى جَهَنَّمَ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيهِ عَلَى قَدرِ أَعمَالِهِم، فَيَمُرُّ أَوَّلُهُم كَالبَرقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيرِ وَأَشَدِّ الرِّجَالِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: «**يَارَبِّ سَلِّم سَلِّم**». حَتَّى تَعجَزَ أَعمَالُ العِبَادِ، فَيَأتِي مَن يَزحَفُ.

وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأمُورَةٌ، تَأخُذُ مَن أُمِرَت بِهِ، فَمَخدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَردَسٌ فِي النَّارِ.

وَنُؤمِنُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن أَخبَارِ ذَلِكَ اليَومِ وَأَهوَالِهِ، أَعَانَنَا اللهُ عَلَيهَا.

وَنُؤمِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهلِ الجَنَّةِ أَن يَدخُلُوهَا وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.

وَنُؤمِنُ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِلمُؤمِنِينَ المُتَّقِينَ، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾

[السجدة: ١٧].

والنَّارُ: دَارُ العَذَابِ الَّتي أَعدَّهَا اللهُ تعَالَى لِلكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فِيهَا مِنَ العَذَابِ والنَّكَالِ مَا لَا يَخطُرُ عَلَى البَالِ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

وهُمَا موجُودتَانِ الآنَ ولَن تَفنيَا أَبدَ الآبدِينَ: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ۝١١﴾ [الطلاق: ١١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

- **ونَشهَدُ بالجَنَّةِ** لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ والسُّنَّةُ بِالعَينِ أَو بِالوَصفِ:

فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالعَينِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي بكرٍ، وعُمرَ، وعُثمَانَ، وعَلِيٍّ، ونَحوِهِم مِمَّن عَيَّنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.

- ومِنَ الشَّهَادَةِ بالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ مُؤمِنٍ أَو تَقِيٍّ.

- **ونَشهَدُ بالنَّارِ** لِكُلِّ مَن شَهِدَ لَهُ الكِتَابُ والسُّنَّةُ بالعَينِ أَو بِالوَصفِ:

- فَمِنَ الشَّهَادَةِ بالعَينِ: الشَّهَادَةُ لأَبِي لَهَبٍ، وعَمرِو بنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيِّ، ونَحوِهِمَا.

- ومن الشَّهَادَةِ بِالوَصفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ كَافِرٍ أَو مُشرِكٍ شِركًا أَكبَرَ أَو مُنَافِقٍ.

ونُؤمِنُ بِفتنَةِ القَبرِ: وَهِيَ سُؤَالُ المَيِّتِ فِي قَبرِهِ عَن رَبِّهِ ودِينِهِ ونَبِيِّهِ فـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فَيَقُولُ المُؤمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسلَامُ، ونَبِيِّي مُحَمَّد.

وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ.

ونُؤمِنُ بنَعِيمِ القَبرِ لِلمُؤمِنِينَ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ

تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

وَنُؤمِنُ بِعَذَابِ القبرِ لِلظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا كثِيرَةٌ مَعلُومَةٌ، فَعَلَى المُؤمنِ أَن يُؤمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِن هَذِهِ الأُمُورِ الغَيبِيةِ، وَأَلَّا يُعَارِضَهَا بِمَا يُشَاهِدُ فِي الدُّنيَا، فَإِنَّ أُمُورَ الآخِرَةِ لَا تُقَاسُ بِأُمُورِ الدُّنيَا؛ لِظُهُورِ الفَرقِ الكَبِيرِ بينَهُمَا. وَاللهُ المُستَعَانُ.

فصلٌ

وَنُؤمِنُ بالقَدَرِ خيرِهِ وَشَرِّهِ، وَهُوَ تَقدِيرُ اللهِ تَعَالَى لِلكَائِنَاتِ حَسبمَا سَبَقَ بِهِ عِلمُهُ وَاقتَضَتهُ حِكمَتُهُ.

وَللقَدَرِ أَربعُ مَرَاتِبَ:

المَرتَبَةُ الأُولَى: العِلمُ: فَنُؤمنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم، عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَكَيفَ يَكُونُ بِعِلمِهِ الأَزَلِيِّ الأَبَدِيِّ، فَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلمٌ بَعدَ جَهلٍ، وَلَا يَلحَقُهُ نِسيَانٌ بَعدَ عِلمٍ.

المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الكِتَابَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى كتَبَ فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ مَا هُوَ كَائِن إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ: المَشِيئَةُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَد شَاءَ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن.

المَرتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الخَلقُ: فَنُؤمِنُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

وَهَذِهِ المَرَاتِبُ الأَربَعُ شَامِلَةٌ لِمَا يَكُونُ مِنَ اللهِ تَعَالَى نَفسِهِ، وَلِمَا يَكُونُ مِنَ العِبَادِ، فَكُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ العِبَادُ مِن أَقوَالٍ أَو أَفعَالٍ أَو تُرُوكٍ فَهِيَ مَعلُومَةٌ للهِ تَعَالَى مَكتُوبَةٌ عِندَهُ، وَاللهُ تَعَالَى قَد شَاءَهَا وَخَلَقَهَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن

يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وَلَكِنَّنَا مَعَ ذَلِكَ **نُؤمِنُ** بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لِلعَبدِ اختِيَارًا وَقُدرَةً بِهِمَا يَكُونُ الفِعلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ فِعلَ العَبدِ بِاختِيَارِه وَقُدرَتِهِ أُمُورٌ:

الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وَقَولُهُ: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦].

فَأَثبَتَ لِلعَبدِ إِتيَانًا بِمَشِيئَتِهِ، وَإِعدَادًا بِإِرَادَتِهِ.

الثَّانِي: تَوجِيهُ الأَمرِ وَالنَّهيِ إِلَى العَبدِ، وَلَو لَم يَكُن لَهُ اختِيَارٌ وَقُدرَةٌ؛ لَكَانَ تَوجِيهُ ذَلِكَ إِلَيهِ مِنَ التَّكلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ، وَهُوَ أَمرٌ تَأبَاهُ حِكمَةُ اللهِ تَعَالَى وَرَحمَتُهُ وَخَبَرُهُ الصَّادِقُ فِي قَولِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثَّالِثُ: مَدحُ المُحسِنِ عَلَى إِحسَانِهِ وَذَمُّ المُسِيءِ عَلَى إِسَاءَتِهِ، وَإِثَابَةُ كُلٍّ مِنهُمَا بِمَا يَستَحِقُّ، وَلَولَا أَنَّ الفِعلَ يَقَعُ بِإِرَادَةِ العَبدِ وَاختِيَارِهِ لَكَانَ مَدحُ المُحسِنِ عَبَثًا، وَعُقُوبَةُ المُسِيءِ ظُلمًا، وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ العَبَثِ وَالظُّلمِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرسَلَ الرُّسُلَ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَلَولَا أَنَّ فِعلَ العَبدِ يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ وَاختِيَارِه، مَا بَطَلَت حُجَّتُهُ بِإِرسَالِ الرُّسُلِ.

الخَامِسُ: أَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ يُحِسُّ أَنَّهُ يَفعَلُ الشَّيءَ أَو يَترُكُهُ بِدُونِ أَيِّ شُعُورٍ بِإِكرَاهٍ، فَهُوَ يَقُومُ وَيَقعُدُ وَيَدخُلُ وَيَخرُجُ وَيُسَافِرُ وَيُقِيمُ بِمَحضِ إِرَادَتِهِ، وَلَا يَشعُرُ بِأَنَّ أَحَدًا يُكرِهُهُ عَلَى ذَلِكَ، بَل يُفَرِّقُ تَفرِيقًا وَاقِعِيًّا بَينَ أَن يَفعَلَ الشَّيءَ بِاختِيَارِه وَبَينَ أَن يُكرِهَهُ عَلَيهِ مُكرِهٌ.

وَكَذَلِكَ فَرَّقَ الشَّرعُ بينَهُما تفريقًا حكيمًا، فلم يُؤاخِذِ الفاعِلَ بِما فعلَهُ مُكرهًا عليهِ فيما يتعلّقُ بِحقِّ اللهِ تعالَى.

وَنَرَى أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لِلعَاصِي عَلَى مَعصِيَتِهِ بِقَدَرِ اللهِ تعالَى؛ لأنَّ العَاصِيَ يُقدِمُ على المَعصِيَةِ باختِيَارِهِ، مِن غيرِ أن يَعلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَهَا عليهِ، إذ لَا يَعلَمُ أَحدٌ قَدَرَ اللهِ تعالَى إلَّا بعدَ وُقوعِ مقدورِه: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. فكيفَ يَصِحُّ الاحتِجَاجُ بِحُجَّةٍ لَا يَعلَمُهَا المُحتجُّ بها حِينَ إقدامِهِ عَلَى مَا اعتذَرَ بِهَا عنهُ، وَقد أَبطَلَ اللهُ تعالَى هَذهِ الحُجَّةَ بِقولِهِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَنقولُ لِلعَاصِي المُحتجِّ بِالقَدَرِ: لِمَاذَا لَمْ تُقدِم عَلَى الطَّاعَةِ مُقدِّرًا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قد كَتَبَهَا لَكَ، فَإنَّهُ لَا فرقَ بينَها وَبينَ المَعصيَةِ فِي الجَهلِ بِالمَقدُورِ قَبلَ صُدُورِ الفِعلِ مِنكَ؟

وَلِهَذَا لَمَّا أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَد كُتِبَ مِقعدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقعدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: **«لَا، اعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»**[1].

وَنَقُولُ لِلعَاصِي المُحتجِّ بِالقَدَرِ: لَو كُنتَ تُرِيدُ السَّفَرَ لِمَكَّةَ وَكَانَ لَهَا طَرِيقَانِ، أَخبَرَكَ الصَّادِقُ أَنَّ أَحدَهُمَا مَخُوفٌ صَعبٌ، وَالثَّانِي آمِنٌ سَهلٌ، فَإِنَّكَ سَتَسلُكُ الثَّانِي وَلَا يُمكِنُ أَن تَسلُكَ الأَوَّلَ؛ وَتَقُولَ: إِنَّهُ مُقدَّرٌ عَلَيَّ، وَلَو فَعلتَ؛ لَعَدَّكَ النَّاسُ فِي قِسمِ المَجَانِينِ.

وَنَقُولُ لَهُ أَيضًا: لَو عُرِضَ عَلَيكَ وَظِيفَتَانِ: إِحدَاهُمَا ذَاتُ مُرَتَّبٍ أَكثَرَ، فَإِنَّكَ سَوفَ تَعمَلُ فِيهَا دُونَ النَّاقِصَةِ، فَكَيفَ تَختَارُ لِنَفسِكَ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ مَا هُوَ الأَدنَى، ثُمَّ تَحتَجُّ بِالقَدَرِ؟

وَنَقُولُ لَهُ أَيضًا: نَرَاكَ إِذَا أُصِبتَ بِمَرَضٍ جِسمِي؛ طَرَقتَ بَابَ كُلِّ طَبِيبٍ لِعِلَاجِكَ، وَصَبَرتَ عَلَى مَا يَنَالُكَ مِن أَلَمِ عَمَلِيَّةِ الجِرَاحَةِ وَعَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ.

فَلِمَاذَا لَا تَفعَلُ مِثلَ ذَلِكَ فِي مَرَضِ قَلبِكَ بِالمَعَاصِي؟!

وَنُؤمِنُ بِأَنَّ الشَّرَّ لَا يُنسَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ لِكَمَالِ رَحمَتِهِ وَحِكمَتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ»** رواه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

مُسلِم"[١].

فَنفسُ قَضاءِ اللهِ تَعالَى لَيسَ فِيهِ شَرٌّ أَبدًا؛ لأَنَّهُ صادِرٌ عَن رَحمَةٍ وَحِكمَةٍ، وَإِنَّما يَكُونُ الشَّرُّ فِي مُقتَضَياتِهِ؛ لِقَولِ النَّبيِّ ﷺ فِي دُعاءِ القُنُوتِ الَّذِي عَلَّمَهُ الحَسَنَ: «وَقِنِي شَرَّ ما قَضَيتَ»[٢]، فَأَضافَ الشَّرَّ إِلَى مَا قَضاهُ، وَمَعَ هَذا فَإِنَّ الشَّرَّ فِي المُقتَضَياتِ لَيسَ شَرًّا خَالِصًا مَحضًا، بَل هُوَ شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ مِن وَجهٍ، خَيرٌ مِن وَجهٍ، أَو شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ، خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَر.

فَالفَسادُ فِي الأَرضِ مِنَ الجَدبِ وَالمَرَضِ وَالفَقرِ وَالخَوفِ شَرٌّ، لَكِنَّهُ خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَر، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وَقَطعُ يَدِ السَّارِقِ، وَرَجمُ الزَّانِي شَرٌّ بِالنسبَةِ لِلسَّارِقِ وَالزَّانِي فِي قَطعِ اليَدِ وَإِزهَاقِ النَّفس، لَكِنَّهُ خَيرٌ لَهُما مِن وَجهٍ آخَر، حَيثُ يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُما، فلا يَجمَعُ لَهُما بَينَ عُقوبتي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ أَيضًا خَيرٌ فِي مَحَلٍّ آخَر، حَيث إِنَّ فِيهِ حِمَايَةَ الأَموَالِ وَالأَعرَاضِ وَالأَنسَابِ.

فَصْلٌ

هَذِهِ العَقِيدَةُ السَّامِيَةُ المُتَضَمِّنَةُ لِهَذِهِ الأُصُولِ العَظِيمَةِ تُثمِرُ لِمُعتَقِدِهَا ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً كَثِيرَةً:

فَالإِيمانُ بِاللهِ تَعالَى وَأَسمائِهِ وَصِفاتِهِ يُثمِرُ لِلعَبدِ مَحَبَّةَ اللهِ وَتَعظِيمَهُ المُوجِبَينِ لِلقِيامِ بِأَمرِهِ وَاجتِنَابِ نَهيِهِ، وَالقِيَامِ بِأَمرِ اللهِ تَعالَى وَاجتِنَابِ نَهيِهِ يَحصُلُ بِهِمَا كَمالُ السَّعادَةِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ لِلفَردِ وَالمُجتَمَع: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وَمِن ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالمَلَائِكَةِ:

أَوَّلًا: العِلمُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهِم - تَبارَك وَتَعالَى - وَقُوَّتِهِ وَسُلطَانِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (١٢٧٣).

ثانيًا: شُكرُهُ تَعالَى عَلَى عِنايَتِهِ بِعِبادِهِ، حَيثُ وَكَلَ بِهِم مِن هَؤلاءِ المَلائِكَةِ مَن يَقُومُ بِحِفظِهِم وكِتابَةِ أَعمالِهِم وَغَيرِ ذَلِكَ مِن مَصالِحِهِم.

ثالِثًا: مَحَبَّةُ المَلائِكَةِ عَلَى مَا قامُوا بِهِ مِن عِبادَةِ اللهِ تَعالَى عَلَى الوَجهِ الأَكمَلِ وَاستِغفارِهِم لِلمُؤمِنِينَ.

*** وَمن ثَمَرات الإِيمانِ بالكُتُبِ:**

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللهِ تَعالَى وَعِنايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَنزَلَ لِكُلِّ قَومٍ كِتابًا يَهدِيهِم بِهِ.

ثانِيًا: ظُهُورُ حِكمَةِ اللهِ تَعالَى، حَيثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الكُتُبِ لِكُلِّ أُمَّةٍ ما يُناسِبُها، وَكانَ خاتَمُ هَذِهِ الكُتُبِ القُرآنَ العَظِيمَ، مُناسِبًا لِجَمِيعِ الخَلقِ فِي كُلِّ عَصرٍ وَمَكانٍ إِلَى يَومِ القِيامَةِ.

ثالِثًا: شُكرُ نِعمَةِ اللهِ تَعالَى عَلَى ذَلِكَ.

*** وَمن ثَمَرات الإِيمانِ بالرُّسُلِ:**

أَوَّلًا: العِلمُ بِرَحمَةِ اللهِ تَعالَى وَعِنايَتِهِ بِخَلقِهِ، حَيثُ أَرسَلَ إِلَيهِم أُولَئِكَ الرُّسُلَ الكِرامَ لِلهِدايَةِ وَالإِرشادِ.

ثانِيًا: شُكرُهُ تَعالَى عَلَى هَذِهِ النِّعمَةِ الكُبرَى.

ثالِثًا: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ وَتَوقِيرُهُم وَالثَّناءُ عَلَيهِم بِما يَلِيقُ بِهِم؛ لِأَنَّهُم رُسُلُ اللهِ تَعالَى وَخُلاصَةُ عَبِيدِهِ، قامُوا بِعِبادَتِهِ وَتَبلِيغِ رِسالَتِهِ وَالنُّصحِ لِعِبادِهِ وَالصَّبرِ عَلَى أَذاهُم.

*** وَمن ثَمَرات الإِيمانِ باليَومِ الآخِرِ:**

أَوَّلًا: الحِرصُ عَلَى طاعَةِ اللهِ تَعالَى رَغبَةً فِي ثَوابِ ذَلِكَ اليَومِ، وَالبُعدُ عَن مَعصِيَتِهِ خَوفًا مِن عِقابِ ذَلِكَ اليَومِ.

ثانِيًا: تَسلِيَةُ المُؤمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِن نَعِيمِ الدُّنيا وَمَتاعِها بِما يَرجُوهُ مِن نَعِيمِ الآخِرَةِ وَثَوابِها.

*** وَمن ثَمَرات الإِيمانِ بالقَدَرِ:**

أَوَّلًا: الاعتِمادُ عَلَى اللهِ تَعالَى عِندَ فِعلِ الأَسبابِ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ وَالمُسَبَّبَ كِلاهُما بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

ثانِيًا: راحَةُ النَّفسِ وَطُمَأنِينَةُ القَلبِ؛ لِأَنَّهُ مَتَى عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِقَضاءِ اللهِ تَعالَى، وَأَنَّ المَكرُوهَ كائِنٌ لا مَحالَةَ، ارتاحَتِ النَّفسُ وَاطمَأَنَّ القَلبُ وَرَضِيَ بِقَضاءِ الرَّبِّ، فَلا أَحَدَ أَطيَبُ عَيشًا وَأَربَحُ نَفسًا وَأَقوَى طُمَأنِينَةً مِمَّن

آمنَ بِالقَدَرِ.

ثالثًا: طَردُ الإعجَابِ بِالنَّفسِ عِندَ حُصُولِ المُرَادِ؛ لأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ نِعمَةٌ مِنَ اللهِ بِمَا قَدَّرَهُ مِن أَسبَابِ الخَيرِ وَالنَّجَاحِ، فَيَشكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَيَدَعُ الإِعجَابَ.

رابعًا: طَردُ القَلَقِ وَالضَّجَرِ عِندَ فَوَاتِ المُرَادِ أَو حُصُولِ المَكرُوهِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَيَصبِرُ عَلَى ذَلِكَ وَيَحتَسِبُ الأَجرَ، وَإِلَى هَذَا يُشِيرُ اللهُ تَعَالَى بِقَولِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فَنسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يُثَبِّتَنَا عَلَى هَذِهِ العَقِيدَةِ، وَأَن يُحَقِّقَ لَنَا ثَمَرَاتِهَا وَيَزِيدَنَا مِن فَضلِهِ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَانَا، وَأَن يَهَبَ لَنَا مِن رَحمَتِهِ، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ.

تَمَّت بِقَلَمِ مُؤَلِّفِهَا

مُحَمَّدِ الصَّالِحِ العُثَيمِين

فِي ٣٠ شَوَّال سَنَةَ ١٤٠٤ هـ

قَالَتِ العُلَمَاءُ عن تفسير

الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السِّعدي رحمه الله تعالى

«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان»

❁ **قال الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز:** «نوصي بمراجعة تفسير ابن كثير، تفسير طيب، مفيد، وابن جرير، والبغَوي، وتفسير ابن سعدي، وتفسير الشنقيطي، رحمةُ الله عليهم».

[فتاوى نور على الدرب للشيخ عبدالعزيز بن باز، رقم الشريط (٤٠٨)، سؤال رقم (١٩)]

❁ **وقال:** «المدخل إلى تعلم هذه العلوم دراسة كتاب الله تعالى، وتدبر معانيه .. وكلٌ يقرأ منها ما يناسب استعداده الفكري، ومقدار تحصيله للعلوم وما يحتاج إليه في حياته، فالبادئ يقرأ في المختصر السهل منها، مثل: تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي».

[فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ١٢/ ٦٢، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش، ط. الأولى، دار العاصمة]

❁ **قال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني:** «هو تفسير جيد، وله أقوال جيدة؛ مع أن مراجعتي له قليلة؛ لكن في حدود اطلاعي عليه تبيَّن لي أنه متحرر الرأي والنظر بضوابط الشرع، وليس عنده جمود أو تعصُّب».

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ١/ ٨، باعتناء: سعد بن فواز الصميل، ط. الأولى، دار ابن الجوزي]

❁ **قال الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين:** «ومن التفاسير الجِياد: تفسير الشيخ عبدالرحمن الناصر بن سعدي رحمهُ الله؛ فإنه تفسير سلفي، سهل المأخذ، ينتفعُ به حتى العامي».

[فتاوى نور على الدرب للشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢/ ١١٤، ط. الأولى، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية]

❁ **وقال:** «فإن تفسير شيخنا عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان) من أحسن التفاسير .. أُشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيِّم».

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ٧، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، بتصرف، ط. الأولى، دار ابن حزم]

❁ **وقال:** «من أسهل ما يكون على طالب العلم المبتدئ هو تفسير الشيخ عبدالرحمن بن سعدي؛ لأن كلماتهُ واضحة، وأسلوبهُ يفهمهُ العامي وطالبُ العلم، وفيه فوائد في بعض الآيات لا تجدُها في غيره؛ فهو خيرُ كتابٍ فيما أرى يبتدئ به طالب العلم في التفسير».

[اللقاءات الشهرية: ٢/ ٢٨٦، ط. الأولى، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية]

❁ **قال الشيخ العلامة محمد أمان بن علي الجامي:** «وأما بالنسبة إلى التفسير فينبغي أن يبدأ طالب العلم الصغير بتفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمهُ الله؛ لأنه مختصر، ومنهجهُ معروف، منهجٌ سلفي».

[قرة عيون السلفية بالأجوبة الجامية: ٢٠، ط. الأولى، دار ابن رجب]

❁ **قال الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون:** «ثم قرأ في التفسير، مثل: تفسير ابن كثير، .. أو مثل تفسير الشيخ ابن سعدي؛ لأنه تفسيرٌ مختصرٌ وموجزٌ ومفيد، وسالمٌ أيضًا من الأخطاء، والأغلاط والخُرافات، وعلى أي حال التفسير هو فقه؛ لأن القرآن هو الذي علَّمنا الفِقه، وهو الذي علَّمنا الأحكام الشَّرعية، وهو الذي أمَرنا ونهانا، وأصبحَ مُعلمًا، ومُرشدًا، وحَكمًا عَدلا بَيننا».

[ثمر الغصون من فتاوى الشيخ صالح بن علي بن غصون: ١٣/ ٢٦، إعداد: طارق بن محمد الخويطر، ط. الأولى، دار كنوز إشبيليا]

❁ **وقال:** «تفسير ابن سعدي رحمهُ الله؛ وهو تفسيرٌ مختصر، وأسلوبهُ مفهومٌ وواضح».

[ثمر الغصون من فتاوى الشيخ صالح بن علي بن غصون: ١٣/ ٥٦، إعداد: طارق بن محمد الخويطر، ط. الأولى، دار كنوز إشبيليا]

❁ **قال الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي:** «إذن، ما هو الطريق الذي ننجو به عند الله سبحانه وتعالى؟ هو سبيل الله عز وجل، أن نقرأ كتاب الله، وأن نفسِّره بتفسير الصحابة بالرواية؛ كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير السعدي».

[وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه، أحمد بن يحيى النجمي: ٧٠، ط. الأولى، دار المنهاج]

❁ **قال الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الغديان:** «[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان؟] هذا طيب، أنا ودي أنكم تتنبهون، لأن بعض التفاسير يكون فيها خلل من ناحية العقيدة، فالكتاب هذا

(تيسير الرحمن) هذا ممتاز جدًا من ناحية العقيدة، ومفروضٌ أنكم تجعلونه أصلا؛ إذا قرأتم في شيء يخالفه من ناحية العقيدة فاعتمدوا عليه هُوَ».

[شرح الشيخ عبدالله الغديان لأصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، رقم الشريط (٤)، من الدقيقة ١٨:٢٥ إلى الدقيقة ١٨:٥٦]

❁ **قال الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل:** «وهذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيدات والإسرائيليات ومشاكل الإعراب، وذكر الخلاف، وأهم شيء سلامته من تأويل آيات الصفات، حيث يفسِّرها على منهج السلف، إضافة إلى ما فيه من الاستنباطات الدقيقة، وذكر ما يُستفاد من كل آية يمرُّ بها في موضعها دون الإحالة إلى موضع آخر».

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ٥، باعتناء: سعد بن فواز الصميل، ط. الأولى، دار ابن الجوزي]

❁ **وقال:** «وقد كان لشيخنا العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السِّعدي -رحمهُ الله- من ذلك حظٌ وافر، وذلك بتفسيره المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان)، حيثُ جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغهُ على نمطٍ بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلامٍ مختصرٍ مُفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذِكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يُركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي، فهو في الحقيقة سهلٌ ممتنع يُفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية، إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره، مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف، خلافا لما يؤولها بعض المفسرين».

[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ٩، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة]

❁ **قال الشيخ العلامة محمد بن عبدالله السبيل:** «وتفسير الشيخ ابن سعدي رحمهُ الله؛ وهو تفسيرٌ مختصر، بعبارة واضحة، وهو من أنفع التفاسير لعامة الناس».

[فتاوى سماحة الشيخ العلامة محمد بن عبدالله السبيل: ١/ ٣٨٧، ط. الأولى، دار الميراث النبوي]

❁ **قال الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي:** «وأما ما يتعلق بالتفسير؛ فالذي أختارهُ لطلاب العلم هو: كتاب ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رحمه الله، وكتاب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) رحمه الله».

[العقد المنضَّد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد: ١/ ١٦، ط. دار المنهاج]

❁ **وقال:** «فإن أسباب استقامة الشباب تتلخص في عدة أمور أهمها ما يلي: ... فتح مكتبة منزلية، يُهيأ لها المكان المناسب في المنزل، وتوضع فيها مصاحف القرآن الكريم، وكتاب تفسير ابن كثير، وتفسير السعدي».

[مجموعة رسائل فضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي رحمه الله تعالى، أسباب استقامة الشباب وبواعث انحرافهم: ١٢٧-١٣٠، ط. الأولى، دار الميراث النبوي]

❁ **قال الشيخ العلامة صالح بن محمد اللحيدان:** «أنصحك بتفسير العلامة الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمةُ الله عليه، فهو تفسيرٌ سهلٌ، واضحٌ، لا يحتاج من يقرأُه إلى مَن يوضح له معاني مفردات وغير ذلك، يُبَيِّنُ المعاني، ثم هو صاحب عقيدةٍ سليمةٍ -ولله الحمد-، وهو مطبوع مع المصحف، فائدته كبيرة، وإذا جاء إلى مواضع الاعتقاد، تكلم في مواضعَ كلامًا نفيسًا».

[مقطع صوتي: أنا شابٌ أريد أن تدلني على كتاب تفسير للقرآن الكريم أستفيد منه، وبماذا تنصحني؟ منشور على الشابكة على الرابط الآتي: https://ia801501.us.archive.org/31/items/85699/85699.mp3]

❁ **قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي:** «افهموا القرآن والسنة حق الفهم، واستعينوا على ذلك بالتفاسير السلفية، كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي والسعدي».

[مقال: توجيه العلامة ربيع المدخلي لبعض الشباب في المغرب العربي الذين ينكرون بعض بدع المقابر، ويترتب على ذلك مشاكل كبيرة، منشور على الموقع الرسمي للشيخ على الرابط الآتي: http://www.rabee.net/ar/articles.php?cat=8&id=317]

❁ **وقال:** «ثم تقرأ في تفسير ابن جرير ثم تفسير السعدي ثم تفسير البغوي، هذه كلها تفاسير بالرواية، وتفاسير سلفية، العقائد التي تُبيَّن فيها صحيحة، والكلام عن الفقه -يعني- أئمة في الفقه».

[فتوى: ماهي مراحل تفسير القرآن؟ أي فيه مَن يقول إن هناك تفسيرًا مذمومًا، وتفسيرًا محمودا!، منشورة على الموقع الرسمي للشيخ على الرابط الآتي: http://www.rabee.net/ar/questions.php?cat=36&id=565]

❁ **وقال:** «فاطلبوا العلم من مصادره الصحيحة، كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتفسير السلف الصالح، ما كل تفسير تقرؤونه، تفسير السلف الصالح؛ تفسير ابن كثير، تفسير ابن جرير، تفسير البغوي، تفسير السعدي».

[مقطع صوتي: وصية الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله لأبنائه من طلبة العلم من روسيا والإمارات، منشورة على الشابكة على الرابط الآتي: https://ia601502.us.archive.org/35/items/85698/85698.mp3]

❁ **قال الشيخ العلامة عبدالمحسن بن حمد العبَّاد البدر:** «وتفسير الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي من المعاصرين يجد فيه الخير الكثير، ويجد كلام العلماء، ويجد -يعني- نَفَسَ العِلم والعلماء، لا سيما مثل تفسير ابن سعدي رحمهُ الله، تفسير نفيس مع وجازته، عباراته واضحة، سلسة، وفيه استنباطات دقيقة، وهو كتاب يصلح للخواص وللعوام؛ لو قُرئ على العوام في المساجد حصَّلوا منه الفوائد، وعرفوا معاني القرآن، ولو قُرِئ على الخواص -أو الخواص اطَّلعوا عليه- وجدوا فيه العِلم، ودِقة الاستنباط؛ الرجل أُعطي فهمًا في كتاب الله عز وجل، ووُفق للاعتناء به، فمَن يقرأ كتبه ويقرأ تفسيره يجد العلم الغزير، ويجد: كلام العَالِم، ولغة العَالِم، ولهجة العَالِم التي هي واضحة وجليَّة».

[شرح سنن أبي داود، الشريط رقم (١٧٠)، من الدقيقة ٣٨:٤٦ إلى الدقيقة ٣٩:٥٤]

❁ **قال الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان:** «في كتاب الآن في التفسير؛ سهل، وممتاز، وجامع لمعاني غالب الآيات، وهو تفسير الشيخ ابن سعدي، هذا طيب جدًا، رحمهُ الله، مُفيد».

[مقطع صوتي: ما نصيحة لطالب العلم من كتب التفسير؟، منشور على الموقع الرسمي للشيخ على الرابط الآتي: http://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/14545]

❁ **وقال:** «تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي؛ فهو تفسيرٌ جيد، وسهل العبارة، غزير العِلم".

[إجابة عن سؤال: نصيحة حول اقتناء وقراءة التفاسير، منشور على الموقع الرسمي للشيخ على الرابط الآتي: http://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/5251]

❁ **وقال:** «تفسير ابن جرير، وهذا هو أكبرُ التفاسيرِ وأوسعُها، تفسير مُحيي الدين البَغَويّ: الحُسَين بن مسعودٍ البَغَويّ رحمه الله، تفسير ابن كثير، هذه تفاسيرٌ مشهورةٌ ومعروفةٌ، في عصرنا الحاضر: تفسير الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله؛ فهو منتقىً مِنْ هذه التفاسير، فهذه هي التفاسير التي يُرجَع إليها ويُعتَمَدُ عليها».

[محاضرة: مسؤولية الشباب تجاه دينهم ووطنهم، منشورة على الموقع الرسمي للشيخ على الرابط الآتي: http://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/16497]

❁ **قال الشيخ العلامة علي بن محمد بن ناصر الفقيهي:** «تفسير السعدي رحمهُ الله؛ وهو كما عرفتم مِن أحسن التفاسير لكتاب الله تبارك وتعالى».

[شرح الشيخ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي لتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن السعدي، سورة الأعراف: ٥٥-٦٣، من الثانية ٠٠:٤٥ إلى الثانية ٠٠:٥٧]

❁ **وقال:** «فسَّر فيه كتابَ الله عز وجل؛ بكتابِ الله، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجنَّب تفسيرهُ الآراء المخالفة لِما جاء في كتاب الله وسنة رسولِه صلى الله عليه وسلم».

[شرح الشيخ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي لتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن السعدي، سورة الأنعام: ١٠٠-١٠٨، من الدقيقة ٣:٠٦ إلى الدقيقة ٣:٢٦]

❁ **وقال:** «وهو تفسيرٌ مبارك؛ تضمن علومًا كثيرة من كتاب الله عز وجل، مما يحتاجهُ المسلم في حياته الدنيا وفي الآخرة».

[شرح الشيخ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي لتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن السعدي، سورة الفاتحة: ١-٣، من الدقيقة ٥:٠٨ إلى الدقيقة ٥:٢٢]

أبيات في الوصية بكتاب الله عز وجل:

قال الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى (ت ١٣٧٧ هـ) في «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية»:

وَبِالتَّدَبُّرِ والتَّرْتِيلِ فَاتْلُ كِتا ❁ بَ اللهِ لاسِيَّما في حِنْدِسِ الظُّلَمِ
حَكِّمْ بَراهِينَهُ واعْمَلْ بِمُحْكَمِهِ ❁ حِلًّا وحَظْرًا ومَا قَدْ حَدَّهُ أَقِمِ
واطْلُبْ مَعانِيهِ بالنَّقْلِ الصّريحِ ولا ❁ تَخُضْ بِرَأْيِكَ واحْذَرْ بَطْشَ مُنْتَقِمِ
فَما عَلِمْتَ بِمَحْضِ النَّقْلِ مِنْهُ فَقُلْ ❁ وَكِلْ إِلَى اللهِ مَعْنى كُلِّ مُنْبَهِمِ
ثُمّ المِرا فيه كُفْرٌ فاحْذَرَنْهُ ولا ❁ يَسْتَهْوِيَنَّكَ أقْوامٌ بِزَيْغِهِمِ
وعنْ مَناهِيهِ كُنْ يا صاحِ مُنْزَجِرًا ❁ والأمْرَ مِنْهُ بلا تَرْدادٍ فَالْتَزِمِ
وما تَشابَهَ فَوِّضْ لِلإلهِ وَلا ❁ تَخُضْ فَخَوْضُكَ فيه مُوجِبُ النِّقَمِ
ولا تُطِعْ قولَ ذي زَيْغٍ يُزَخْرِفُهُ ❁ مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ في الدينِ مُتَّهَمِ
حَيْرانَ ضَلَّ عنِ الحقِّ الْمُبِينِ فلا ❁ يَنْفَكُّ مُنْحَرِفًا مُعْوَجّ لَمْ يَقُمِ
هُوَ الكِتابُ الذي مَن قامَ يَقْرَؤُهُ ❁ كَأَنَّما خاطَبَ الرَّحْمَنَ بالكَلِمِ
هُوَ الصِّراطُ هُو الحَبْلُ المَتِينُ هُوَ الْـ ❁ ـميزانُ والعُرْوَةُ الوُثْقى لِمُعْتَصِمِ
هُوَ البَيانُ هُو الذِّكْرُ الحَكِيمُ هُوَ التَّـ ❁ ـفْصِيلُ فاقْنَعْ بِهِ في كُلِّ مُنْبَهِمِ
هُوَ البَصائِرُ والذكرى لِمُدَّكِرٍ ❁ هُوَ الْمواعِظُ والبُشْرى لِغَيرِ عَمِي
هُوَ الْمُنَزَّلُ نُورًا بَيِّنًا وهُدًى ❁ وهوَ الشِّفاءُ لِما في القَلْبِ مِن سَقَمِ
لَكِنَّهُ لِأُولِي الإيمانِ إذْ عَمِلُوا ❁ بِما أتَى فِيه مِنْ عِلْمٍ ومِنْ حِكَمِ
أمَّا عَلى مَن تَوَلّى عنهُ فهو عَمًى ❁ لِكَوْنِهِ عَنْ هُداهُ الْمُسْتَنِيرِ عَمِي
فَمَنْ يُقِمْهُ يَكُنْ يومَ الْمَعادِ لَهُ ❁ خَيرَ الإمامِ إلَى الفِرْدَوسِ والنِّعَمِ
كَمَا يَسُوقُ أولِي الإعْراضِ عنهُ إلَى ❁ دارِ الْمَقامِعِ والأَنْكالِ والأَلَمِ

وقَدْ أتَى النصُّ في الطُّولَيْنِ أنَّهما ❁ ظِلَّا لِتالِيهِما في مَوْقِفِ الغُمَمِ
وأنَّه في غَدٍ يأتي لِصاحِبِهِ ❁ مُبَشِّرًا وحَجِيجًا عَنْهُ إنْ يَقُمِ
والمُلْكَ والخُلْدَ يُعطِيهِ ويُلْبِسُهُ ❁ تاجَ الوَقارِ الإلهُ الحقُّ ذو الكَرَمِ
يُقالُ إقرأْ ورتِّلْ وارقَ في غُرَفِ الْـ ❁ جَناتِ كي تَنْتَهي لِلْمَنْزِلِ النِّعمِ
وحُلَّتانِ مِن الفِرْدوسِ قَدْ كُسِيَتْ ❁ لِوالِدَيْهِ لَها الأكْوانُ لَمْ تَقُمِ
قالا بِماذا كُسِيناها فقيلَ بما ❁ أقرأْتُما ابْنَكُما فاشْكُرْ لِذي النِّعَمِ
كَفَى وحَسْبُكَ بالقُرْآنِ مُعْجِزَةً ❁ دامَتْ لَدَيْنا دوامًا غيرَ مُنْصَرِمِ
لَمْ يَعْتَرِهْ قطُّ تَبْدِيلٌ ولا غِيَرٌ ❁ وَجَلَّ في كَثْرَةِ التَّرْدادِ عنْ سَأَمِ
مُهَيْمِنًا عَرَبِيًّا غيرَ ذي عِوَجٍ ❁ مُصَدِّقًا جاءَ في التَّنزِيلِ في القِدَمِ
فيهِ التفاصيلُ للأحْكامِ مَعْ نَبَأٍ ❁ عمَّا سَيأتي وعنْ ماضٍ مِن الأُمَمِ
فانْظُرْ قَوارِعَ آياتِ المَعادِ بِهِ ❁ وانْظُرْ لِما قَصَّ عَنْ عادٍ وعنْ إرَمِ
وانْظُرْ بِهِ شَرْحَ أحْكامِ الشَّرِيعَةِ هلْ ❁ تَرى بِها مِن عَويصٍ غَيرِ مُنْفَصِمِ
أمْ مِن صَلاحٍ ولَمْ يَهْدِ الأنامَ لَهُ ❁ أمْ بابُ هُلْكٍ ولَمْ يَزْجُرْ ولَمْ يَلُمِ
أمْ كانَ يُغْنِي نَقِيرًا عن هِدايَتِهِ ❁ جَميعُ ما عِندَ أهلِ الأرضِ مِنْ نُظُمِ
أخْبارُهُ عِظَةٌ أمْثالُهُ عِبَرٌ ❁ وكُلُّهُ عَجَبٌ سُحْقًا لِذي صَمَمِ
لَمْ تَلْبَثِ الجِنُّ إذْ أصْغَتْ لِتَسْمَعَهُ ❁ أنْ بادَرُوا نُذُرًا مِنْهم لِقَوْمِهِمِ
اللهُ أكْبَرُ ما قدْ حازَ مِن عِبَرٍ ❁ ومِن بَيانٍ وإعْجازٍ ومِن حِكَمِ
واللهُ أكْبَرُ إذْ أعْيَتْ بلاغَتُهُ ❁ وحُسْنُ تَرْكِيبِهِ لِلعُرْبِ والعَجَمِ
كَمْ مُلْحِدٍ رامَ أن يُبْدِي مُعارَضَةً ❁ فعادَ بالذُّلِّ والخُسْرانِ والرَّغَمِ
هيْهاتَ بُعْدًا لِما رامُوا وما قَصَدُوا ❁ وما تَمَنَّوْا لَقَدْ باؤُوا بِذُلِّهِمِ
خابَتْ أمانِيُّهُمْ شاهَتْ وُجُوهُهُمُ ❁ زاغَتْ قُلُوبُهُمُ عنْ هَدْيِهِ القِيَمِ
كَمْ قَدْ تَحدَّى قريشًا في القديمِ وهُمْ ❁ أهلُ البلاغةِ بينَ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

بِـمِـثْـلِـهِ وبِـعَـشْـرٍ ثـمَّ واحـدةٍ ❁ فـلَـمْ يَـرُومُـوهُ إذْ ذا الأمـرُ لَـمْ يُرَمِ
الـجنُّ والإنسُ لـم يأتوا لَوِ اجْتمعوا ❁ بِـمِـثْـلِـهِ ولَـوِ انْـضَـمُّـوا لِـمِثْلِهِمِ
أنَّى وكـيْـفَ وربُّ الـعَـرْشِ قـائِـلُهُ ❁ سبْـحـانَـهُ جلَّ عنْ شِبْهٍ لـه وسَمِي
مَـا كـان خَـلْـقًـا ولا فَـيْضًا تَـصَوَّرَهُ ❁ نَـبِـيُّـنـا لا ولا تَـعـبـيـرَ ذِي نَـسَـمِ
بَـلْ قـالَـهُ ربُّـنـا قـوْلا وأنْـزَلَـهُ ❁ وَحْـيًـا عَـلى قـلْبِـهِ الْـمُسْتَيْقِظِ الفَهِمِ
والـلـهُ يَـشْـهَـدُ والأمـلاكُ شـاهِـدَةٌ ❁ والـرُّسْلُ معْ مُؤْمِني العُرْبَانِ والعَجَمِ

فهرس

جزئي تبارك وعم

فهرس

تفسير

جزئي تبارك وعم

وسورة الفاتحة وآية الكرسي

من تيسير الكريم الرحمن
في تفسير كلام المنّان

قَالَتِ العُلَمَاءُ عن تفسير العلامة عبدالرحمن بن ناصر السّعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان»:

قال الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: "نوصي بمراجعة تفسير ابن كثير، تفسير طيب، مفيد، وابن جرير، والبغَوي، وتفسير ابن سعدي، وتفسير الشنقيطي، رحمةُ الله عليهم".

قال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني: "هو تفسير جيد، وله أقوال جيدة؛ مع أن مراجعتي له قليلة؛ لكن في حدود اطلاعي عليه تبينّ لي أنه متحرر الرأي والنظر بضوابط الشرع، وليس عنده جمود أو تعصُّب".

قال الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين: "ومن التفاسير الجِياد: تفسير الشيخ عبدالرحمن الناصر بن سعدي رحمهُ الله؛ فإنه تفسير سلفي، سهل المأخذ، ينتفعُ به حتى العامي"، وقال: "أُشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيّم"، وقال: "كلماتهُ واضحة، وأسلوبهُ يفهمهُ العامي وطالبُ العلم، وفيه فوائد في بعض الآيات لا تجدُها في غيره؛ فهو خيرُ كتابٍ فيما أرى يبتدئ به الإنسان في التفسير".

قال الشيخ العلامة محمد أمان بن علي الجامي: "وأما بالنسبة إلى التفسير فينبغي أن يبدأ طالب العلم الصغير بتفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمهُ الله؛ لأنه مختصر، ومنهجهُ معروف، منهجٌ سلفي".

قال الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون: "تفسير الشيخ ابن سعدي؛ لأنه تفسيرٌ مختصرٌ وموجزٌ ومفيد، وسالمٌ أيضًا من الأخطاء، والأغلاط والخُرافات"، وقال: "تفسير ابن سعدي رحمهُ الله؛ وهو تفسيرٌ مختصر، وأسلوبهُ مفهومٌ وواضح".

قال الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي: "إذن، ما هو الطريق الذي ننجو به عند الله سبحانه وتعالى؟ هو سبيل الله عز وجل، أن نقرأ كتاب الله، وأن نفسّره بتفسير الصحابة بالرواية؛ كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير السعدي".

قال الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الغديان: "[تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان؟] هذا طيب، أنا ودي أنكم تنتبهون، لأن بعض التفاسير يكون فيها خلل من ناحية العقيدة، فالكتاب هذا (تيسير الرحمن) هذا ممتاز جدًا من ناحية العقيدة، ومفروضٌ أنكم تجعلونه أصلا؛ إذا قرأتم في شيء يخالفه من ناحية العقيدة فاعتمدوا عليه هُوَ".

قال الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل: "وهذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيدات والإسرائيليات ومشاكل الإعراب، وذكر الخلاف، وأهم شيء سلامته من تأويل آيات الصفات، حيث يفسّرها على منهج السلف، إضافة إلى ما فيه من الاستنباطات الدقيقة، وذكر ما يُستفاد من كل آية يمرُّ بها في موضعها دون الإحالة إلى موضع آخر".

قال الشيخ العلامة محمد بن عبدالله السبيل: "وتفسير الشيخ ابن سعدي رحمهُ الله؛ وهو تفسيرٌ مختصر، بعبارة واضحة، وهو من أنفع التفاسير لعامة الناس".

قال الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي: "وأما ما يتعلق بالتفسير؛ فالذي أختارهُ لطلاب العلم هو: كتاب ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) رحمه الله، وكتاب الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) رحمه الله".

قال الشيخ العلامة صالح بن محمد اللحيدان: "أنصحك بتفسير العلامة الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمةُ الله عليه، فهو تفسيرٌ سهلٌ، واضحٌ، لا يحتاج من يقرأُه إلى مَن يوضح له معاني مفردات وغير ذلك، يُبَيِّنُ المعاني، ثم هو صاحب عقيدةٍ سليمةٍ -ولله الحمد-، وهو مطبوع مع المصحف، فائدته كبيرة، وإذا جاء إلى مواضع الاعتقاد، تَكلم في مواضعَ كلامًا نفيسًا".

قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي: "ثم تقرأ في تفسير ابن جرير ثم تفسير السعدي ثم تفسير البغوي، هذه كلها تفاسير بالرواية، وتفاسير سلفية، العقائد التي تُبينّ فيها صحيحة، والكلام عن الفقه -يعني- أئمة في الفقه"، وقال: "فاطلبوا العلم من مصادره الصحيحة، كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتفسير السلف الصالح، ما كل تفسير تقرؤونه، تفسير السلف الصالح؛ تفسير ابن كثير، تفسير ابن جرير، تفسير البغوي، تفسير السعدي".

قال الشيخ العلامة عبدالمحسن بن حمد العباد البدر: "وتفسير الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي من المعاصرين يجد فيه الخير الكثير، ويجد كلام العلماء، ويجد -يعني- نَفَسَ العِلم والعلماء، لا سيما مثل تفسير ابن سعدي رحمهُ الله، تفسير نفيس مع وجازته، عباراته واضحة، سلسة، وفيه استنباطات دقيقة، وهو كتاب يصلح للخواص وللعوام؛ لو قُرئ على العوام في المساجد حصّلوا منه الفوائد، وعرفوا معاني القرآن، ولو قُرئ على الخواص -أو الخواص اطّلعوا عليه- وجدوا فيه العِلم، ودِقة الاستنباط؛ الرجل أُعطي فهمًا في كتاب الله عز وجل، ووُفق للاعتناء به، فمَن يقرأ كتبه ويقرأ تفسيره يجد العلم الغزير، ويجد: كلام العَالِم، ولغة العَالِم، ولهجة العَالِم التي هي واضحة وجليَّة".

قال الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان: "في كتاب الآن في التفسير؛ سهل، وممتاز، وجامع لمعاني غالب الآيات، وهو تفسير الشيخ ابن سعدي، هذا طيب جدًا، رحمهُ الله، مُفيد"، وقال: "تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي؛ فهو تفسيرٌ جيد، وسهل العبارة، غزير العِلم".

قال الشيخ العلامة علي بن محمد بن ناصر الفقيهي: "تفسير السعدي رحمهُ الله؛ وهو كما عرفتم مِن أحسن التفاسير لكتاب الله تبارك وتعالى"، وقال: "فسَّر فيه كتابَ الله عز وجل؛ بكتابِ الله، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجنَّب تفسيرهُ الآراء المخالفة لِما جاء في كتاب الله وسنة رسولِه صلى الله عليه وسلم".